سلسلة توجيهات لإصلاح الأسرة (٧)

(١٠ ر.س)

يا معشر الرجال رفقاً بالنساء

د. نجاح بنت أحمد الظهار

دار المحمدي


مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم : (٧١)
يا معشر الرجال
رفقاً
بالنساء
هذه همسات
جريئة خبيئتها
حواء في...
د. نجاح أحمد الظهار

دار المحمدي للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الظهار، نجاح أحمد
يا معشر الرجال رفقاً بالنساء. جدة
...ص؛ ... سم (توجيهات لإصلاح الأسرة؛ ٧)
ردمك: ٥-٨٥-٧٥٢-٩٩٦٠
١-الزواج ٢-تعدد الزوجات أ-العنوان ب-السلسلة
ديوي ١، ٢١٩ ٢١/٠٦٦١

رقم الإيداع: ٢١/٠٦٦١
ردمك: ٥-٥٨-٧٥٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

الناشر



المملكة العربية السعودية
جدة - حي الجامعة - شارع عبد الله السليمان
هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ ــ ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤
ص.ب ٩٣٤٧ الرمز البريدي ٢١٤١٣

إهداء

إلى قلب كل آدم واع .. يحرص على الاقتداء بالمصطفى ﷺ.

إلى قلب كل حواء مكلومة بُحّ صوتها ، وهي تطالب آدم بتطبيق حقوقها المشروعة لها في الإسلام .

إلى كل أسرة مسلمة ترجو الاستقرار ، والأمان ، والوصول إلى مشارف الجنان .

أهدي هذا الكتاب المتواضع

راجية من الله تعالى .. أن يعم نفعه ، وأن يصلح من خلاله ما اعوج من أخلاقنا ..

إنه سميع مجيب .

د . نجاح أحمد الظهار .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن والاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فسبحان الذي جعل بين الزوجين مودة وسكناً ، فقال في كتابه الكريم :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾[1]

وسبحانه عز من قائل :

﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾[2]

فهذه الآيات الكريمة تفيض بالمعاني الإيمانية الثَّرَّة . هذه المعاني لو طبقت كما وردت في الآيات لاندحرت جميع الصعاب ، ولعجزت المشكلات عن إيجاد ثغور تنفذ منها إلى داخل الحياة الأسرية .

ولكن عدم فهم كثير من الناس لفحوى هذه الآيات فهماً واعياً جعلهم يتخبطون في غياهب الظلم مما أدى إلى تفكك أواصر الأسرة المسلمة ، وانفصام عراها .

ولقد حاول بعضهم انتشال الحياة الأسرية الإسلامية من هوة الفشل ، فوضعوا المرأة نصب أعينهم ، وانهالوا عليها نصحاً وإرشاداً ، ولم يكتفوا بذلك بل اقتحموا واقعها الوظيفي في البيت وخارجه ، وعرفوا عيوبها ومثالبها ، وعملوا على إقالة عثرتها ، فجزاهم الله عنها خير الجزاء ، ولكن ظنهم بأن

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) الأعراف : ١٨٩ .

الأسرة تقوم أكثر ما تقوم على أكتاف المرأة وأنها هي المسؤولة عن نجاح الأسرة أو فشلها ، جعلهم يغفلون عن جانب كبير من المشكلة ، فأغمضوا أعينهم عن مسؤولية الرجل وواجباته نحو الأسرة ، وربما تطرق إليها بعضهم بطريقة رتيبة تسرد للرجل الحقوق والواجبات المنوطة به سرداً من غير تغلغل في أعماق حياته ، ومعايشة واقعه العملي ، ومتابعة سلوكه التطبيقي ، إذ أنه لا يمكن وصف العلاج إلا بعد المعاينة والتشخيص الدقيق لكل حالة مرضية وفي الوقت الذي تثور فيه .

وفي هذا الكتاب حاولت الكاتبة أن تقدم شرائح حية من واقع **حواء** مع **آدم** اليوم ، وهي تستهدف من حديثها إسداء النصح لكل الرجال ، وخاصة الرجل المسلم الواعي ، لأنه ممن يرجى برؤه ـ بإذن الله تعالى ـ وهي تتوسم فيه الخير والاستجابة ، لما ينطوي عليه قلبه من مخافة الله وخشيته ، فحتى إذا ما ربضت على قلبه الغفلة فَذُكِّرَ بقول الله تعالى ، وقول رسوله ﷺ فإنه سريع الفيء سهل الانقياد لأمر الله تعالى : ﴿ **إنَّ الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾[1] .

قد يظن بعضهم أن المشكلات التي عرضتها **حواء** الكاتبة في هذا الكتاب نابعة من تجربة ذاتية لها ، ولهؤلاء أقول :

إن مجتمعي الخاص الذي يحيط بي ، فيه رجال هم القدوة والمثل في طيب الصحبة ، وحسن العشرة ، وهم ندرة في الرجال .

ولكن **حواء** الكاتبة تتعايش ، وتتفاعل مع مشكلات **حواء** في المجتمع العام ، فتحس وتتألم ، وتشعر أن كل مشكلة تسمع بها هي مشكلتها الخاصة .

---

(١) الأعراف : ٢٠١ .

واستعملت الكاتبة لفظ (حواء) كناية عن المرأة ، و(آدم) كناية عن الرجل ففي مواطن الاتهام في الكتاب لا تقصد رجلاً واحداً بعينه وفي نفس الوقت لا تقصد جميع الرجال على الإطلاق والعموم ولكنها قصدت كل رجل تتمثل فيه صفات آدم الذي يسيء إلى حواء من قريب أو بعيد ، أي أنها جعلت من آدم في هذه المواطن نموذجاً بشرياً لكل آدم يطابقه في السلوك في الواقع الخارجي .

وفي مواطن العظة والعبرة تقصد جميع الرجال لتعميم الفائدة .

أرجو يا آدم أن تقرأ الكتاب بإمعان وجدية ورغبة في إصلاح ذاتك ، ولا يكون إصلاح الذات إلا بجعل كل مشكلة معروضة وكأنها مشكلتك الخاصة، فتعرض حياتك عليها بصدق ، وتختبر نفسك بحياد تام ، ثم تحاول أن تتفادى وتجانب أي خطأ ، فإن أنت فعلت ذلك استفدت من قراءتك ، ولم تضع وقتك ، أما إذا قرأته وأنت مبرئ نفسك من الخطأ ، ومنزه لها عن التقصير ، وكأن ما تقرأه إنما هو يخص غيرك ولا يعنيك ، وأنك مثالي في كل سلوكك ، فأنصحك بعدم تكليف نفسك مشقة القراءة .

وحواء لا تقصد من كتابتها هذه أن تبرئ نفسها ، وتدخل آدم قفص الاتهام ، بالطبع لا ، فهي تعترف بأن لها أخطاءها ، وأن عليها أن تصلح من أمرها ، ولا يتم لها ذلك إلا بالتعاون مع آدمها بحيث يصلح كلاهما أخطاءه ، وأن يتحاكما في كل أمر إلى قول الله تعالى ، وقول رسوله ﷺ ، وأن ينحني المخطئ منهما طاعة أمام أمر الله من غير جدال عقيم ، أو تبرير سقيم .

المؤلفة

جدة في ١٤١١/٧/١هـ

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي جعل في أمة محمد رجالاً لهم قلوب واعيـــة تسـمع الحـق وتُســلم به امتثالاً لقــوله تعالى : ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

أمَّا تلك الفئة التي تسمع الحق وتشيح بوجهها عنه إما جهلاً أو كبراً فــهي فئة غافلة لا تعد مقياساً ولا حجة على أبناء الأمة الإسلامية ، وقد تسببت هـــذه الفئة في عرقلة مولد هذا الكتــاب لا لشيء إلاّ لأنه موجه إلى الرجــل وبقلـم امرأة ، فبعد أن منّ الله عليَّ بالانتهاء من الكتابة دفعت بالمؤلَّف إلى إحدى دور النشر المعروفة وكان من عادة صاحبها أن يعرض الكتاب على لجنة يثق هـــو في علمها وفكرها وسلامة صدرها ، وفوجئت بعد عدة أيام بمظـــروف كبــير يحوي مسودات الكتاب مع خطاب من أحد أعضاء اللجنة تكــاد ألفاظــه يلتــهم بعضها بعضاً ، وأحسست بأنَّ كل كلمة ، بل كل حرف في الخطـــاب يتســابق لصفعي .

لم أصدق ناظري في بداية الأمر واتهمت عقلي بالقصور ، وعاودت قراءة الخطاب مرات ومرات بُغية مراجعة النفس ، ثم أخذت اقرأ مسودات الكتــاب ، وأراجع أفكاره فكرة فكرة ، وأعرضها على المنظور الإسلامي ، فالرجل كـــاد يتهمني بالخروج عن الإسلام ، وذكر في ذلك أحاديث وآيات يحضرنـــي فيــها قوله ﷺ : (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) ، واتهمني بالتطــاول على خيرة شباب محمد ﷺ ، وأنه لا يحق لي أن أنصِّب نفسي حكماً في مثـــل هـــذه القضايا ، ولا أعرف كيف فاته أنَّ كل موضوع كنت أحتكم فيه إلى آية أو

حديث ـ ولكنه الغضب ـ أما هو فقد سمح لنفسه أن يكون حكماً جائراً على المرأة ، فقد ذكر في طيات خطابه أنه حكم في مشكلات زوجية كثيرة ، وكانت المرأة دائماً هي المخطئة ، وهي سبب المشكلة ، وأنهال على المرأة لوماً وتقريعاً ـ سبحان الله ـ

وبعد معايشتي لألفاظ الرجل وتراكيب جمله أيقنت أنني لا بد قد كويته على جراح تصرخ ألماً وغضباً .

وقد بلغت عدد صفحات خطابه ما يربو على خمس عشرة صفحة كلها ترمي إلى تثبيط همتي ، وتفزيعي وتخويفي من عقاب الله إن صممت على ظهور الكتاب ، ولكن كلمة الحق أبت إلا الظهور فخرجت منه على حين غفلة حيث ذكر في ثنايا هجومه أنّ الكتاب يمتاز بأسلوب شيق يجبر القارئ على الانتقال من سطر إلى سطر دون ملل أو كلل .

ثم عاودت التجربة مع عدد من دور النشر ولكنها باءت بالفشل مما زادني عزماً وتصميماً على إسماع **آدم** ما يدور في نفس **حواء** ، فارتحلت وكتابي إلى دار نشر في غير مدينتي مكثت فيها حتى اطمأننت على ولادته بعد طول عسر .

وما كاد الكتاب يتنفس حتى تصدى له شخص آخر من المسؤولين في دار النشر بعد أن سمع تعليقات بعض زبائنه من الرجال الذين ابتلوا ببعض العيوب المذكورة في صفحاته ، فطلب منّي سحب الكتاب منه ، مما أثار في داخلي الشعور بالغبطة والانتصار ، فهاهو صوت **حواء** ، وهاهي همساتها بدأت تمس قلب **آدم** وتلفته إليها .

سحبت الكتاب وأخذت أوزع بعضه مجاناً ، وصممت إن رفضت دار النشر

والتوزيع القادمة توزيعه فإنني سأوزعه مجاناً بأكمله ، وسأطبعه طبعات عدة أوزعها مجاناً أيضاً ، وبالفعل نقلته إلى دار ثالثة مكث عندها شهوراً ، ثم اعتذر صاحبها بحجة أن بعض زبائنه من الرجال لم يرق لهم الكتاب لأنه يتحدث عن الرجل وبقلم امرأة .

وسحبته للمرة الرابعة ، والعزم في داخلي يزداد ويدفعني إلى المسير حتى قيض الله جهة رسمية ابتاعت جميع النسخ لتوزيعها مجاناً .

هذه رحلتي مع دور النشر ، أمّا ما وصلني من آراء حول الكتاب من بعض الرجال الذين لم يفقهوا حقوق المرأة كما جاءت في الهدي المحمدي فقد رأيت فيها عجباً ، فقد ذكرت لي بعض النساء أنّ أزواجهن حين قرأوا عنوان الكتاب رفضوا الاطلاع على محتواه ، وذكروا أنهم ليسوا بحاجة إلى توجيه امرأة ، ومنهم من اتهمني بجرح كبريائه ورجولته ، وبعضهم صرّح بأنّ الكتاب لو كان بقلم رجل لوجد إقبالاً وصدى في نفس الرجل .

ولكنني لا أنكر بأنني في خلال مسيرتي الشاقة قد قيض الله لي رجالاً تشربوا التربية المحمدية ووعوها بقلوبهم وعقولهم ، وتمثلوا بها في سلوكهم وعرفوا قيمة المرأة وآمنوا بحقوقها ، وامتثلوا لوصية المصطفى ﷺ : (**استوصوا بالنساء خيراً**) ، فشجعوا ظهور الكتاب ، وأثنوا على فائدته ، وأنّ على كل رجل أن يقرأه ليفهم نفسية حواء ، ويتعرف على مطالبها ، فالكتاب يحوي سلوكيات خاطئة قد تصدر من الرجل دون أن يلتفت إلى مردودها على المرأة . علماً بأنّ الكتاب لقي رواجاً وإقبالاً كبيراً من النساء لأنه يعبر عن مكنونات أنفسهن .

ولعل دار المحمدي للنشر والتوزيع وتبنيها لفكرة إعادة نشر الكتاب لتمثل

هـــذه الفئة الواعية التي تسعى إلى بناء الأسرة المسلمة على الأسس الإســـلامية الصحيحة ، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء .

وأخيراً أحبه أن أنبه إلى أنّ كثيراً من القراء قد أشاروا علىّ بتغيـــير اســـم الكتاب (همسات جريئة في أذن آدم) ، فكان اقتراح الناشر تسميته (يا معشـــر الرجال رفقاً بالنساء) ليكون مقابلاً للكتاب الموجه للنساء (يا معشر النساء رفقاً بالرجال) .

كما أنني قمت ببعض التغيرات في الأسلوب والفكرة بناء على ما وصلنـــي من آراء قيمة أعتز بها وأدعو لأصحابها بالأجر والثواب .

وأتمنى على جميع القراء أن يرسلوا إلىّ بوجهات نظرهـــم فـــإنني علـــى استعداد على تقبل آرائهم والعمل بما يتماشى منها مع الكتاب والسنة .

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني والجميع للعمل الجاد الذي يساعد على الارتقاء بالأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي .

د . نجاح أحمد الظهار

اعترافات حواء

هذه همسات جريئة حبستها حـواء في صدرها زمناً طويـــلاً لعــل آدم يتنبه من تلقاء نفسه ، فيلمح آمالها وآلامها ، ولكن طال الزمن وآدم مستغرق في ذاتيته يطالب دوماً بحقوقه المشروعة ، وقد جند قلمه وعلمه وذكـــاءه فـــي خدمة قضاياه ، فصدرت الكتب بلا عدد تعرِّف حواء حقوق آدم عليها .

وألقى الكثير تبعية اختلال ميزان الأسرة على أكتاف حـواء والكل يلومها إن هي قصرت ، والكل يؤنبها إن هي أهملت .

وانشغل آدم بإلقاء اللوم على حـواء ، وبالتنقيب عن الأدلة الشــــرعية التي تدينها .

وحـواء المسكينة تستمتع بعقــلها وقلبها ، وتحاول جـــــاهدة أن تلبـــي المطالب التي قد أُحكمت حججها ... إنها تلهـــث في تعب وشقاء بـــالغين فـــي سبيل حماية حصن الأسرة من التهدم والانهيار ... ولكنها لا تقـــوى ... إنـــها تضعف في منتصف الطريق ... إنها حائرة ... لماذا تفشل مرات ومرات فـــي الحفاظ على مملكتها على الرغم من محاولاتها العديدة ؟!! .

إنها تنظر إلى آدم نظرة استجداء تطلب منه أن يمد لها يد العــون ... أن ينتشلها من حيرتها ... أن ينقذ معها جنتها .

فهلاّ رحمت يا آدم نظراتهـــا اللهفى ، وتنازلت عن برجك العاجي ؟!!

هلاّ أخذت بيد حـواء ليسير مركب الحياة في هدوء وأمان ؟!!

لماذا يمعن آدم القرن الخـــامس عشـــر فـــي إذلال حـــواء ، وهضـــم حقوقـــها ؟!!

لماذا يريد آدم القرن الخامس عشر أن يعيد تاريخ حـواء في الجاهلية الهمجية ؟!!

هل نسي آدم أن الإسلام قد كرم حـواء ، وجعلها تتربع على عرش الحرية ، وألبسها تاج العز والمجد ، وحطم بذلك كل قيود العبودية الجاهلية العمياء ؟!!

حـواء التي أوصى بها سيد الخلق في آخر خطبة له ، فقال :

((**استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان** [1] **ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً . إنَّ لكم من نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**)) [2].

وكان ﷺ دائماً ما يوصي بالنساء ، فيقول : ((**استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً**)) [3].

* حـواء يا آدم .. تطالبك بتنفيذ هذه الوصية الطاهرة ، هذه الوصية التي هي بمثابة تنبيه ، وتحذير لآدم من الاستجابة لصوت الجاهلية التي قد

---

(١) عوان : أسيرات .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج ٣/١ وذكر الألباني أنه حديث حسن صحيح . انظر : إرواء الغليل : ٧/٩٦ ــ ٩٧ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب الوصاة بالنساء : ٧/٣٤ .

تستيقظ في نفسه ، وتغريه برجولته ، وتحمله على اضطهاد **حـواء** .

* **حـواء تعترف** .. بأنها لم تعرف ، ولن تعرف ديناً أعاد إليها كيانـــها وبصَّر آدم بقيمتها ، واعترف بمشاعرها وعاطفتها مثل دين الإسلام .

* **حـواء تعترف** .. بأنها لم تعرف ، ولن تعرف نبيـــاً كريمـــاً رحيمـــاً عطوفاً عليها كمحمد بن عبد الله ﷺ .

وهذا الكتاب تخاطب فيه **حـواء** **آدم** الذي لم يأل جهداً في إلقاء تبعيـــة فشل الحياة الزوجية على عاتقها .

في هذا الكتاب تهمس **حـواء** بجرأة في أذن **آدم** ، وتذكره ببعض مثالبه التي هي المعول الأساس في هدم الأسرة ، وتقويض معالمها .

* **وحـواء تعلم** .. بأن مثل هذا الحديث لن يروق **لآدم** ، ولن يعجبـــه وسيعتبر ذلك تمرداً من **حـواء** ، وطعناً في رجولته .

* **حواء تلمح** **آدم** وهو يمط شفتيه امتعاضاً ، ويقرن ما بين حاجبيـــه استنكاراً ، ويشيح بوجهه مستغرباً ، كيف تجرأت **حـواء** على بوح مثل هـــذا الحديث ؟!!

لا شك أن **آدم** بعد قــراءة حديث **حـواء** سوف يشحذ همه في البحـث عن أدلة واهيـــة تطالب بالحد من تعليمها ، ولكن **حـواء** لن تكترث ، لأنـــها تعلم أن مربي البشرية قد قال : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)).[1]

* **حـواء يا آدم** .. تأمل منك أن تجلس بجوارها تناقشها بموضوعيـــة في المشكلات التي تهدد كيانكما معاً .

---

(1) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : ١/٤٤ ، رقم الحديث ١٨٣.

* وقبل هذا وذاك **فحـواء** تعترف بأن سبب مشكلاتها هو عاطفتها التي تدفعها دوماً للصفح عن خطايا آدم .

* **حـواء تعترف** .. بأن سذاجتها هي التي جرأت آدم عليها .

* **حـواء تعترف** .. بأنها ستجند وقتها وقلمها في المطالبة بحقوقها .

* **ولتطمئن يا آدم** ، **فحـواء** تعترف بأن قوتها في ضعفها ، فهي حين تهمس في أذنك لا تقصد بذلك التمرد والعصيان ، والخروج عن دائرة طاعتك .

هذه الهمسات إنما هي محاولات تسعى **حـواء** من خلالها إلى إقامة حياة هانئة وسعيدة بجوار آدمها .

* **حـواء تعترف** .. بأنها لا تستطيع قيادة الأسرة بمفردها .

* **حـواء تعترف** .. بأنه لا غنى لها عن آدمها .

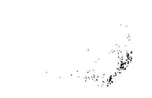
* **حـواء تعترف** .. بحاجتها إلى عضد تستند إليه كلما داهمها التعب .

* **حـواء تعترف** .. بحاجتها إلى يد حانية تمسح عن جبينها العرق كلما أضناها الأرق .

* **حـواء تعترف** .. بكل حقوق آدم المشروعة له في الإسلام ، وهي تسعى جاهدة إلى تحقيقها .

* **حـواء تعترف** .. بذلك كله ، وترجو من آدم أن يعترف هو الآخر بحاجته إليها .

- وأن يعترف كلاهما بحاجة الأسرة إليهما معاً .
- وأن تعترف الأسرة بحاجة المجتمع إليها .
- وأن يعترف المجتمع بحاجة الأمة الإسلامية إليه .



آدم وجمال حواء

إنَّ آدم ينظر إلى **حواء** نظرة سطحية واهية ، إنه يطلبها طويلة بيضاء ، زرقاء العين أو خضراءها ، ذات شعر ذهبي ناعم هفهاف !!!

إنَّ هذه المطالب مجانبة للصواب مجافية للحقيقة لأنها لا تتلاءم مع أوصاف بنت الجزيرة وفتاة الصحراء التي تسطع فيها الشمس نهاراً كاملاً ، فتتلون الأجسام بالألوان الجذابة .

إنَّ هذه المطالب أغفلت ذلك الارتباط الوثيق بين العوامل الجغرافية والصفات الجسمية البشرية !!!

فبالرجوع إلى أي مرجع جغرافي سهل نستطيع أن نعلم منه :

أثر المناخ في الإنسان من حيث لون البشرة ، القامة ، تقاطيع الوجه والجسم ، شكل الشعر .

فإنَّ للمناخ أثراً في صفات الإنسان الجسمية ، فيتغير لون البشرة تبعاً للضوء والحرارة ، فهي تلفح الوجه ، وتجعله أسمر أو أسود ، لذلك نرى أن الجنس القوقازي النوردي ناصع البياض ، والألبي أبيض ، والقوقازي بحر متوسط في أوروبا أقل بياضاً ، والقوقازي بحر متوسط في شمال أفريقيا قمحي ، وفي شمال السودان أسمر ، والقبائل القوقازية في الحبشة وبعض أجزاء الصومال لونهم أسود حالك فحمي .

وتعد شبه الجزيرة العربية من سلالة البحر المتوسط ، ويطلق على هذه السلالة اسم السلالة السمراء ، وتمتاز بالبشرة السمراء ، والرؤوس عادة طويلة ، والأنوف متوسطة سواء في الطول أو الضيق ، والمظهر الجانبي

للأنف غالباً ما يميل إلى الاستقامة ، أما العين فلوزية ، والشفاه متوسطة ، ولون الشعر بني غامق ، أو أسود مجعد أو مموج ، أما القامة فتميل إلى المتوسط ، وتمتاز سلالة البحر المتوسط التي تقطن المنطقة الصحراوية بالقامة المتوسطة النحيفة ، والبشرة السمراء ، ولكن الشعر أكثر تجعيداً ، ويلاحظ زيادة التجعيد كلما توغلنا جنوباً في الصحراء الكبرى.[1]

وبعد هذه المعلومات السهلة التي غابت عن ذهن **آدم** ، فإن **حواء** القرن الخامس عشر ترفض أن ينظر إليها **آدم** بهذا المنظار الجمالي المختل .

وهي ترفض أن تكون مسلاة للرجل ، ولعبة جميلة بين يديه فقط .

حواء تود من **آدم** أن يعترف بفكرها ، بعقلها الذي هذبه الدين واعترف به .

حواء تذكرك بقول خير مربي ﷺ الذي رفض أن يُتخذ المال أو الجمال مقياساً أوْ حداً **لحواء** ، فقال : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** ».[2]

ولكن فهم بعضهم أنَّ الجمال هو المطلوب ، لتقدم لفظه في الحديث ، وغفلوا عن أن المصطفى ﷺ إنما أراد بذكر هذه الصفات أولاً بيان رغبات **آدم** العامة في المرأة ، وهذه الرغبات أنكر الرسول ﷺ أن تكون مقياساً **لحواء** ، فوضح في آخر الحديث المقياس الصحيح في اختيار **حواء** فقال : « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » .

---

(١) أصول الجغرافية البشرية : فؤاد محمد الصقار ــ محمود رشيد الفيل ، الطبعة الثانية : ٧٧ ــ ٨٠ ، وانظر كذلك : جغرافية العالم الإسلامي ، محمود أبو العلا : ١٣٦ ــ ١٣٨ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين : ٩/٣ .

ولننظر إلى الصياغة اللغوية ، والتركيب البلاغي لهذا المقياس ، وما يوحي به من دلالات ، لقد جاء به بفعل الأمر المقرون بالفاء (فاظفر) مما أكسب الفعل قوة الحث والترغيب مع المبادرة السريعة في تنفيذ هذا الأمر ، وعدم التباطؤ فيه .

وقال ﷺ في حديث آخر : ((**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**)) .[1]

وقال ﷺ : ((**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**)) .[2]

وجعل المصطفى ﷺ المرأة الصالحة أنفس من الذهب والفضة وهي أفضل من اكتناز المال على ضروبه وأنواعه ، فعن ثوبان قال : لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا : فأي المال نتخذ ؟ قال عمر : فأنا أعلم لكم ذلك ، فأوضع على بعيره ، فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره ، فقال يا رسول الله أي المال نتخذ فقال : ((**ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة**)) .[3]

ولكن كثير يماطل ويتقاعس عن تلبية هذا التوجيه محتجاً بحجج واهية ، **حجته** .. أن الجمال يدفعه إلى غض بصره عن المحرمات ، وبه يعف نفسه ،

---

(١) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب تزويج ذات الدين : ٥٩٧/١ . رقم الحديث ١٨٥٩ ، جاء في الزوائد في إسناده الأفريقي ، هو عبد الله بن زياد بن أنعم ، ضعيف ، والحديث رواه ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر ، انظر : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة : ٣٢٦/١ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد واللفظ لمسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر : ٥٦/١٠ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء : ٣١٢/١ .

ويعصم شهوته من الانحراف .

حواء تقول :

ليس هناك من هو أوعى من رسول الله ﷺ ، ولا أكثر فهماً منه بحاجات النفوس ، ولا أخبر منه بطرق كبح الشهوات ، ولو كان منطق الجمال وحده سليماً لكان الرسول ﷺ أول من أخذ به ، ونبه إليه وحث عليه ، ولكنه قال : ((**أيما رجل رأى امرأة تعجبه ، فليقم إلى أهله ، فإن معها مثل الذي معها**)) .[1]

ويطيب لحواء أن تطلع آدم على سر جمالها ، فتقول :

إن نواحي الجمال في المرأة ليست هي الشكل العام ، والمظهر الخارجي الزائف .

ꕥ ***إن جمال حواء*** .. في ورعها ، وتقواها الذي يزيد قلبها نوراً وإيماناً ، فتقر عين آدم وتهنأ .

ꕥ ***إن جمال حواء*** .. في حرارة عاطفتها ، وتوهج مشاعرها ، فتتحرك نحوها أحاسيس آدم ومودته .

ꕥ ***إن جمال حواء*** .. في لين عريكتها ، ورقة طبعها ، فتبرز من خلالها شخصية آدم وقوته .

ꕥ ***إن جمال حواء*** .. في نظرتها الحانية ، وصوتها الدافئ ، فيجد آدم سكنه عندها .

ꕥ ***إن جمال حواء*** .. في بسمتها التي تزيد وجهها نضارة ، وقلب آدم بهجة وسروراً .

---

(١) رواه الدارمي وصححه الألباني ، انظر سنن الدارمي ١٤٦/٢ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة :٧٤/٣ .

ﮩ ***إن جمـــال حــواء*** .. في وعيها ، ولا أقول في علمها المكتسب مـــن أجل الشهادة ، وإنما في علمها الواعي المستمد من نبع الإسلام الصافي .

ﮩ ***إن جمـــال حــواء*** .. في مدى إدراكها لمسؤوليتها الحقيقة تجاه بيتــها وأولادها ، ومجتمعها ، وأمتها .

ﮩ ***إن جمـــال حــواء*** .. في قدرتها ، بل في رغبتها في العطاء المستمر البناء .

ﮩ ***إن سر جمـــال حــواء*** .. لم يدركه بعد إلا القلة من أبناء آدم الذين يملكون إيماناً عميقاً ، وعقلاً واعياً ، وإحساساً مرهفاً يدرك مواطن الجمال .

❑ **استمع إلى قصـــة** آدم الذي تنبه بعد غفـــلة إلى سر جمـــال **حــــواء** ، فأدرك به سعادته ، وقرت به عينه .

➜ هو شاب مبتعث عقد قرانه بطريق الوكالة ، ولم ير عروسه إلا وقـــت البناء بها ، فلما وقع بصره عليها رغب عنها لقلة جمالها ، وأدار ظـــهره وراح في سبات عميق ، فلم يشعر إلا وهي توقظه لصـــلاة قيام الليـــل بصوت دافـــئ حنون ، وتنضح على وجهـــه الماء في رقة بالغة قائلة : أنا مـــا تزوجـــت إلا لأجد من يعينني على العمل بهذا الحديث وهو قوله ﷺ : ((**رحم الله رجلاً قـــام من الليل فصلى وأيقظ امـــرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، رحــــم الله امـــرأة قـــامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجهـــا ، فإن أبى نضحـــت فـــي وجهه الماء**)).[1]

وهنا شعر آدم بقشعريرة تسري في جسده ، وهزة لا يعرف كنهها تهـــز

(١) رواه أبو داود (واللفظ له) وابن ماجة وهو حديث صحيح : انظر : سنن أبي داود : ٣٣/٢ رقم ١٣٠٨، صحيح سنن ابن ماجة : ٢٢٣/١ رقم ١٠٩٩ .

قلبه ، وتنفض عنه أحاسيس زائفة كانت تهيمن عليه ، فاستنارت بصيرته .

رفع نظـــره إليها فرآها غير تلك المرأة ، رآها بمقياس جمال لا تدركه إلا القلوب المؤمنة حقاً ، رآها من ساعتها أجمل نساء العالمين .

هذا هو (آدم) ***الإيماني ..*** الذي أدرك الجمال بقلبـــه وإيمانـــه ، لا بنظـــره وهواه فقط .

← ***أما*** (آدم) ***الآخر ..*** فقد تقدم إلى صديق له يلح عليه في البحث له عـــن عروس ، واشترط (آدمنا) شروطاً خيالية تتطرق إلى الجمال الجسدي الظـــاهر والباطن .

فهبت زوج صديقه ومعها فرقة كاملة من الصديقات الموثـــوق بنظرتـــهن العالية للجمال للبحث عن هذه المواصفات ، ولكن أنَّى لهن ذلك ؟! أنَّـــى لـــهن البشرة البيضاء الناصعة الشفافة ، والعين الملونة بـــألوان الطيـــف ، والشـــعر الأصفر الذي انعكس لونه على أشعة الشمس فاستمدت منه ضوءها و .. و ..

حفيت أقدام فرقة البحث عن التحف النادرة ، حفيت أقدامهن وهـــن يجبـــن البلاد ، ويطفن بالعباد وسط ذوات الخدر الحسناوات الجميلات ، فيقابل (آدمـــنا) ترشيحهن بالشجـــب والرفض ، حتى نضب زاد الفرقة وألقت عتادها ، فغضب صاحبنا ، وهجر صديقه ردحاً من الزمن حتى كان ذلك اليوم الذي طرق فيـــه الباب ، وعلامات الفرح تسبق كلماته ، والسرور يشيع على محيـــاه ، وبســـمة النصر ترتسم على كل ملامحه .. ثم عقد القران والكل يغبط هذا الشاب علـــى عروسه التي لا يكاد يوجد توأمها على الأرض .

مـــرت الأيام والسنون ، ويعود الشاب طارقاً باب صديقه ، وعلامات الحـــزن تسبق كلمـــاته ، فهو شاحب الوجه ، منكسر القلب دامع العيـــنين يخبر صديقـــه

بانفصاله عن زوجه بعد أن أنجبت له ثلاثة أطفال ، وذلك لدناءة مخبرها ، وسوء عشرتها ، ومرارة منطقها وتطاولها عليه وعلى والديه ، فلم يعد يراها تلك المرأة الجميلة التي خطبت له ، وسرقت فؤاده ، فقد طمس سوء طبعها معالم جمالها .

لا بد أن هناك هاجساً في نفسك يتساءل : ***ما بال* حواء** تشجع القبح وتزدري الجمال ؟!!

على رسلك يا أخي ...

حواء .. لا تزدري الجمال الطبيعي ، وإنما تزدري المقياس الجمالي العقيم الذي وضعه آدم ، وهو لا يناسب **حواء** القرن الخامس عشر ، بل لا يناسب بنت الصحراء .

وهي لا تزدري أن يكون مفهوم الجمال عند آدم مفهوماً سطحياً قاصراً يسيء إلى ذات **حواء** ... إلى جوهرها ... إلى فكرها ... إلى كرامتها ...

وهي تزدري أن يكون هذا المفهوم السطحي للجمال هو المقياس الأوحد الذي تتوقف عليه مطالب آدم ، ومن ثم تتعرقل حركة البناء الأسري ، الذي هو غاية الزواج ، وبذلك نعطل قوله ﷺ :

« **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** » (١) .

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني / انظر : موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، كتاب النكاح : ٣٠٢ رقم الحديث ١٢٢٨ ، ومسند الإمام أحمد ١٥٨/٣، ٢٤٥ ، إرواء الغليل : ١٩٥/٦ .

آدم وحواء الصغيرة

إني لأعجب من آدم الذي حصل على أكبر الشهـادات ، وتربع على عرش أكبر المراكز أن تبقى نظرته إلى حواء النظرة الموروثة من العصر الجاهلي ، بل ربما تبرأ منها العصر الجاهلي وعزاها إلى عصور ما قبل التاريخ .

كيف لم تتهذب نظرته ، ولم تتغير فكرته مع التغيير الفكري والحضاري الذي شمل العالم منذ بزوغ فجر الإسلام ، وحتى عصرنا هذا ؟!!

تراه متحضراً في منظره ، وفي مأكله ، ومشربه ، ومسكنه ومركبه ، بليغاً وفيلسوفاً في منطقه ، ولكن نظرته إلى حواء ما زالت نظرة رجعية متخلفة قد حفظها في صندوق عقلي محكم الإغلاق حتى لا تمر بها نسمات من الحضارة فتفسدها .

لماذا يطلب رجل متعلم قد بلغ من العمر مبلغه أن يقترن بفتاة تصغره بسنوات عديدة ، بفتاة يفصل بينه وبينها بون شاسع من العمر ومن الفكر ، ومن الخبرة والوعي ؟!!

تُرى ما الدافع الذي يدفعه لمخالفة القانون الحضاري الذي انتهجه في كل جوانب حياته .. لا شك أنها الرغبة الجاهلية في السيطرة على المرأة ، وإخضاعها لجبروت الرجل !!!

فإذا اقترن آدم بحواء الصغيرة استطاع – على حسب زعمه وزعم النظرات الموروثة – أن يربيها على يديه ، وعلى مزاجه الخاص وكأنها جهاز الكتروني يبرمجه بالبرنامج الذي يرغبه .

وإما أنه يرى أن حواء الصغيرة لعبة تستطيع أن تتحمل نزواته الصبيانية وتتوافق معها ، فهو إذاً يريد من حواء أن تكون لعبة يلهو بها فقط ، وفي هذا امتهان لها أي امتهان .

وإما أن يكون هذا الاختيار عائداً إلى فقدان ثقة آدم بنفسه ومقدرته على التعامل مع حواء الجديدة ، ففضل أن يعيش متقوقعاً داخل مملكة يحكمها هو.

وحواء تتعجب .. كيف يستطيع آدم الناضج فكرياً ، وعقلياً وجسمياً ، وعاطفياً أن يتفاعل مع فتاة لا تتوافق مع مركباته ، ولا تتواءم مع احتياجاته ؟!!

بل تتعجب من منطقه في فهم الحياة الأسرية ، وبناء دعائمها على السيطرة ، والرجولة الزائفة ؟!!

كيف هو طعم تلك الحياة التي تقوم على الأمر ، والنهي ، وفرض الرأي ؟!!

هل غاب عنك يا آدم أن السعادة الأسرية لا تتحقق إلا بالتفاعل العاطفي ، والوجداني ، والفكري ، والجسمي ، بين آدم وحواء ، وهذا التفاعل لا يتم إلا بمعادلة صحيحة من مكونات آدم وحواء؟!!.

يقول ابن الجوزي :

(ينبغي للعاقل أن يتخير امرأة صالحة من بيت صالح .. وليتزوج من يقاربه في السن ، فأما الشيخ فإنه إذا تزوج صبية آذاها ، وربما فجرت ، أو قتلته ، أو طلبت الطلاق ، وهو يحبها فيتأذى) [1]

قد يعترض آدم على هذه المقولة محتجاً بزواج الرسول ﷺ بالسيدة عائشة

---

(١) صيد الخاطر : ٤٠٧ .

رضي الله عنها ، ولكني أجيب : بأن الرسول ﷺ حين تزوج السيدة عائشة لـــم يتزوجها للسيطرة عليها ، ولم يحقرها لصغرها ولم يهملها ، بل تراه قد رباهـــا تربية إيمانية أخرجت للأمة الإسلامية عالمـــة ، ومحدثـــة ، وفقيهـــة يقصدهـــا الرجـــال والنساء ، وشتان ما بين نظرته لحواء الصغيرة وبين نظـــرة آدم اليـــوم .

آدم ورفض حواء

في المطـاف الطـويل الذي يسلكه **آدم** في بحثه عـن **حـواء** يظـهر غرور **آدم** بنفسـه ، فإذا ما طرق باباً **لحـواء** خاطباً ، فرفضـته ، لأنـها لا ترى فيه وجهاً يلائمها ، فإنه يزبد ويربد ، ويحتج بأي حق ترفضه **حـواء** هـذه !!!

أما كان لها أن تحمد ربها ، لأنها تفضل عليها وطرق بابها !!!

ثم يلجأ إلى استعمال قوته التي عززها المجتمع الذي ما زال ينظـر إلـى المرأة نظرة جاهلية ، ويبدأ في التنديد بالمرأة ، ويعمل على سلخها مـن كـل حقوقها الشرعية التي حباها إياها الإسلام ، الإسلام الذي أعطاها الحرية المطلقة في اختيار الزوج الذي تريد طالما أنها على مقدرة تؤهلها لهذا الاختيار .

قال ﷺ : ((**لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله ، وكيف إذنها ؟؟ قال : أن تسكت**)) .[1]

لقد راعى الإسلام الاستعداد العـاطفي ، والنفسي للمرأة ، فالبكـر يمنعـها حياؤها من التصريح برغبتها في الزواج ، فإذا صمتت فصمتها معنـاه القبـول والرضا .

أما المرأة التي خبرت الرجال ، ودخلت عالمهم فلا يحق لأحد تزويجـها إلا بأمر صريح منها .

والمرأة في الإسـلام لها حق الرفض لأدنى سبب ترى أنه يعـكر عليـها صفو حياتها .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا ينكح الأب وغيره البكر ، والثيب إلا برضاها : ٢٣/٣ .

* **فهذه امرأة ثابت بن قيس** قد رفضت زوجها لا لاعوجاج في خلقه ، ولكنها حين رأته بين الرجال كرهته[1].

فاحترم الإسلام هذه الخفقة العاطفية التي قد يستنكرها الكثير .

فالإسلام الواعي .. أدرك أن المرأة إذا لم تكن صادقة العاطفة ، فلن تكون صادقة العطاء ، فعلى (آدم) الواعي أن يمتلك عاطفتها أولاً ، فيملك بذلك مفاتيح السعادة معها .

عليه ألا يصر على الاقتران بفتاة رفضت الزواج منه لأي سبب من الأسباب ، بل عليه ألاَّ يستاء ويتضجر إن مر بمرحلة الرفض هذه وهناك من الرجال من تثور كرامته ثورة باطلة زائفة إذا رفضته **حواء** ويلجأ إلى طرق عقيمة يحاول فيها الانتقام لكرامته المهدورة ، فيجري إلى الوسطاء تارة ، ويلجأ تارة أخرى إلى إغراء أب قد أينعت في نفسه بذور الطمع ، فيبيع ابنته مقابل حفنة زائلة من المال ، أو قد يزعج ذلك الأب تمرد **حواء** على رغبته فيستعظم الأمر ، ويستقبح جرأتها على الرفض .

وتساق **حواء** إلى مذبح الزوجية لتلقى الهوان تلو الهوان !!

* **وإنِّي لأذكر قصة تلك الفتاة الصغيرة** التي وافقت بادئ أمرها على الاقتران برجل ، فلما رأينه صحبها غيرن نظرتها إليه ، فعافته نفسها فاستكبر والدها الأمر إذ كيف يطيح بكلمته أمام الرجال ؟؟

---

(١) ذهبت امرأة ثابت بن قيس إلى الرسول ﷺ تطلب منه أن يطلقها من زوجها وذكرت له السبب قائلة : (رفعت جانب الخباء في ليلة الزفاف فأقبل في عدة من الرجال ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً وبي من الجمال ما ترى ، ولست أعتب عليه يا رسول الله في خلق ودين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام) . البخاري ، كتاب النكاح ٦٠/٧/٣ .

وعلم بذلك الخطيب بموقف خطيبته ، فأشفق على رجولته أن تتحطم ، فاتفقت رجولة الاثنين على تجاهل عاطفة الفتاة ، وأحكما الخطة !!

ففي ذات يوم حين كانت الفتاة عائدة من مدرستها إلى البيت بصحبة والدها ، فوجئت بالأب وهو يغير طريق المنزل ، ثم أوقف السيارة أمام عمارة لم يسبق لها أن رأتها ، ولكنها لم تتجرأ على السؤال .

أمرها الأب بالنزول فنزلت ، وقد بدأ قلبها يدق دقات الخطر ، وتلاحقت ضربات القلب كأنما تريد أن تفر من شدة الخوف .

طرق الأب إحدى الشقق ، وفُتح الباب ، وإذا بها وجهاً لوجه أمام خطيبها الذي كرهته ، توقف قلبها لحظة ، وجحظت عيناها ، وتجمدت نظراتها ، وبدأت جحافل الكره تزحف مسرعة من كل حدب وصوب لتسكن جميع جوانحها ، استفاقت من لحظة الذهول ، وأحست بالمؤامرة ، فرفعت رأسها الصغير ، ونظرت إلى والدها نظرات يصعب على أكبر محلل نفسي أن يفسرها فهي خليط من الضعف والذل والتوسل والاستنجاد ، والاستفسار واللوم ، والحقد والكره ، والحزن العميق ، وتجمدت الدموع في محاجرها ، لأن تلك النظرات العميقة قد سدت عليها المنافذ .

لم تلق نظراتها الكسيرة صدى في قلب الوالد الذي هربت من قلبه الرحمة ، وقتلت في نفسه عاطفة الأبوة بيد الرجولة الحمقاء ، فاستدارت الفتاة تنشد الهرب ، ولكن أسرعت إليها يد أبيها تجرها من جديلتها الطويلة الجميلة، وزج بها عنوة داخل وكر الزوجية ، وتركها وذهب لتلقى مصيرها المجهول .. رضخت الفتاة مكرهة ، وعاشت أياماً لا يعلم مرارتها إلا الله ، عاشت سجينة بين جدران منزلها ، نعم سجينة فعلاً ، لأن ذلك الزوج كان يخاف هروبها فيعمد



إلى إغلاق الباب في خروجه ودخوله .

وقد حاول الذئب المغتصب أن يستميلها ويسترضيها ، فبذل لـــها المـــال ، وهيأ لها كل الأمور المادية .. ولكن هيهات فعاطفة الحب قد نزحت من قلبــها ، وهاجرت إلى غير رجعة .. هاجرت وهي تجر ذيول الأسى والحزن ..

في عالم النساء يُرمى بالحمق ، والسفه ، والجهل مــــن يحــاول امتــلاك الأجساد قبل العاطفة .

وتمر الأيـــام ثقيلة كئيبة .. إلى أن بلغ الفتـــــاة خـــبر احتضــــار والدهــا واستدعيت على عجل ، فوالدها يلح في رؤيتها . لقد شعر بخطئه الفادح بعـد أن بلغت الروح الحلقوم .

وفي تلك اللحظة الأليمة الحرجة نظرت الفتاة في عين والدها فرأت فيــــها الضعف ، رأت فيها التوســـل إنها نفس نظرتهـــا له يوم زج بها إلى ســـجنها ، وتذكرت تلك اللحظات الأليمة ، ورأت شريط حياتها المؤلمة يمر بسرعة أمـــام ناظريها ، فزجرت كل عاطفة هاجت في نفسها إزاء أبيها ، فسنة الحياة اقتضت أن الميت لا يعود ، وعاطفتها قد ماتت ودفنت . وصاحت بكلمـــات خلت مـــن كل عطف ... بكلمات رسمت كل خيوط حياتها المأسوية ... بكلمـــات يصعــب على أي إنســـان حي نطقها في مثل هذه الظروف والملابسات وخاصــــة فـــي موقف الأبوة والبنوة ... فقالت بكلمات تقطر لومـــاً وكــرهاً ... قالت بعصبيـــة واضحة : لن أسامحك يا والدي حية كنت أم ميتة .

وهـــاكم نموذجاً آخر مختصراً ...

* **شاب رفضته قريبة له** ؛ لأنها لم تجد فيه ما تصبو إليه ، فما كان منه إلا أن باع عقيدته ، وسلك سبل الشيطان ثأراً لكرامته المذبوحة ، وأقسم في نفســـه

أن يمنعها من الاقتران بآخر ... وقدم نفسه للشيطان ولجأ إلى السحرة .

لقد أصيبت الفتاة بآثار ذلك السحر بتقدير من الله وإرادة منه ؛ ليكون لها امتحاناً ، فما كانت تعقد على فتى ترتضيه حتى يطلقها فتقع فريسة المعاناة النفسية الشديدة ، وتقاسي ما تقاسي من الآلام ، وقد تكررت معها التجربة عدة مرات باءت جميعها بالفشل . لقد علمت الفتاة بأمر هذا السحر من فم قريبها بعد أن استيقظ ضميره متأخراً بفعل العقوبات الإلهية التي صُبَّت على رأسه ، فقلبت حياته جحيماً ، فاضطر إلى العودة إلى جادة الحق ، ويستغفر لماضيه المقيت .

وهذه ليست قصصاً فردية من معاناة المرأة في اختيار الخاطب إنما هي نموذج بشري يحكي ما يتكرر لحواء على صفحات الأيام .

آدم والتعدد

من شمول المنهج الإسلامي وعمقه إباحته التعدد ، واشتراطه العدل بين الزوجات ، قال تعالى : **﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا ﴾**[1].

فمسألة التعدد في الإسلام قد طال فيها الحديث ، وتضاربت فيها الآراء بين مؤيد متعصب لهذا الأمر حيث جعله فريضة على كل مسلم ، وأنّ أصل الزواج أربعة ، حتى أن بعض المتطرفين يرى أن الاكتفاء بواحدة إنما هو من أعمال النصارى .

وبين رافض للموضوع رفضاً باتاً ، ويرى أن الأصل في الإسلام واحدة .

وحواء ترى أن التعدد أمر مشروع مباح مشروط بالعدل ، فإذا فُقد هذا الشرط ، فالالتزام بواحدة هو الطريق الأسلم والأكثر ورعاً .

وعلى **حواء** ألا تنكر أمر التعدد جرياً وراء عاطفتها ، وإلاّ تكون قد خرجت من الملة .

ولكن ليس هناك دليل شرعي يجبرها على الزواج **بآدم** الذي يرغب في التعدد ، إنما عليها قبل الإقدام على هذا الأمر أن تفكر فيه مراراً وتكراراً ، وأن تكرسه من جميع النواحي المادية والمعنوية .

وألاّ تقبل به تحت أي ضغوط ، أو إقناع خارجي ، فلا بد أن تكون على اقتناع داخلي تام بطبيعة الحياة المقدمة عليها ، مع مقياس دقيق لمتطلباتها

---

(١) سورة النساء : ٣ .

ورغباتها وقدراتها ، فإن وجـــدت في نفسها القدرة على التكيف في ظـــل هـــذه الحـــياة ، فلتتوكل على الله وتقدم عليها بثبات وثقة ؛ لأن ما تقوم به ليس عيبـــاً ولا حراماً إنما هو حق مشروع .

وحــواء التي تجد في نفسها نقصاً في المقدرة على التكيف في ظل هـــذه الحياة عليها ألاَّ تشعر بالذنب لأنها رفضت ـــ وهذا ما يحاول بعضهم إشـــعارها به ـــ وعليها ألاَّ تخاف من شبح العنوسة الذي يحاول المجتمع بأسره أن يخيفـــها منه ، ولتعلم أنه شبح أنيس لطيف إذا عرفت كيف تتعامل معه بذكاء ووعـــــي ، ولتعلم أن الإسلام لم يجبرها ، ولم يلزمها ولم يفرض عليها أن تـــتزوج **بــآدم** المعدِّد إلا إذا رغبت هي في ذلك .

وعلى آدم .. الذي يرغب في التعدد أن يكون تقياً ورعاً يخشى الله ويتقيه في السر والعلن ، وأن يتحقق من كفاءته في العدل وصـــدقه في التطبيـــق ، أي أن يكون على قدر كبير من الموضوعية مع نفسه أولاً ، ثم مع أسرته .

على آدم .. أن يكون ذكياً فطناً ماهراً في الحساب ، ليتمكن من مراجعـــة حساباته ألف مرة ومرة ، ويقيس حاجته للتعدد ، وأن لا يقدم على هذه الخطـــوة لمجرد إبراز رجولته ، أو تقليداً لصديق له ، أو عناداً لشخص ما ، أو إشـــــباعاً لرغبة جنسية طارئة ، متجاهلاً كل الأمور الشرعية المتعلقة بالتعدد .

وقد نصح ابن الجـــوزي في كتابه صيد الخـــاطر كل من دفعتـــه شـــهوته وأغرته بالإكثار من النساء ، فقال :

(أكثر شهوات الحس النساء ، وقد يرى الإنسان امرأة في ثيابها فيتخـــايل أنها أحسن من زوجته ، أو يتصور بفكره المستحسنات ، وفكره لا ينظر إلاَّ إلى الحسن من المرأة ، فيسعى في التـــزوج والتسري ، فإذا حصل له مراده لم يزل

ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها فيمل ، ويطلب شيئاً آخر ، ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر ربما اشتمل على محن ، منها أن تكون الثانية لا دين لها ، أو لا عقل لها ، أو لا محبة لها ، أو لا تدبير فيفوت أكثر مما حصل .

وهذا المعنى الذي أوقع الزناة في الفواحش ، لأنهم يجالسون المرأة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها ، فتلذهم تلك الساعة ، ثم ينتقلون إلى أخرى .

فليعلم العاقل أن لا سبيل إلى حصول مراد تام كما يريد :

﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾[1].

وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله عز وجل :

﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾[2].

وذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة ، وعيب الخلق معنى ، فليقنع بما باطنه الدين ، وظاهره الستر والقناعة ، فإنه يعيش مرفه السر ، طيب القلب ، ومتى استكثر ، فإنما يستكثر من شغل قلبه ، ورقة دينه)[3].

وللأسف كل الأسف نجد أن كثيراً من الشباب الذين ينادون بالتعدد ، ويتشدقون به في مجالس الرجال يفتقرون لميزان العدل .

فنراهم قد أقدموا على هذه الخطوة بطرق عشوائية ، فقد توهموا مقدرتهم على العدل تحت ضغوط نفسية أملتها عليهم رغباتهم الملحة حتى كأنهم لم يفهموا من الآية إلا الجزء الأول منها ، وهو قوله تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٦٧ . (٢) البقرة : ٢٥ .

(٣) صيد الخاطر : ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾[1] .

ونسي (آدم) في غمرة فرحتـــه بالثـــانية ، أو هو تناسى قضيـــة العـــــدل التي هي الركن الثاني للتعدد والمتمثلة في بقية الآية :

﴿ فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة ﴾[2] .

فتعاظم في نفسه أن يخاف ، وهو بطل الأبطال ، فظن أن صفة الخوف في الآية ذم وتحقير يجب أن يترفع عنهما ، وغاب عنه أن ذكر الخوف هنا تنزيـــه لآدم ، وحثّ له على التورع ، وتنبيه له من الوقوع في الظلم فيأتي يوم القيامة وقد مال شقه ، كما في قوله ﷺ : « **إذا كانت عند الرجل امرأتان ، فلم يعـــدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط** »[3] .

وتركيب الآية الكريمة :

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ .

فيه حث على الاقتصار على الواحدة .

فمجيء الفاء في جواب الشرط (فواحدة) ، وحذف الفعل الزمـــوا ــ أي الزموا واحدة ــ دليل على الحث الشديد على التمسك بالواحدة هذا فـــي حالـة الخوف من عدم العدل ، ولمجرد الشعور الداخلي بعدم القدرة عليه ، ومعنى ذلك أن الإنسان يجب أن يختلي بنفسه ، ويختبر مقدرته وصدقه في إمكان العـــدل ، فإن توجس خيفة ، عليه أن يتورع ، ويوازن بين رغبته في التعدد وبين مقدرته على تحمل أعبـــاء الظلم ومغبته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(١) النساء : بعض الآية ٣ . (٢) النساء بعض الآية : ٣ .

(٣) رواه الخمســة والدارمي وابن حبان ، واللفظ للترمذي في كتاب النكــاح ، باب التسوية بين الضـــرائر : ٢٨٥/٤ ، وأخرجه الحاكم على شرط الشيخين . تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٢٩٥/٤ .

هذا حاله في الآخرة ، أما حاله في الدنيا ، وهو يتخبط بين زوجاته لعـــدم مقدرته التوفيق والعدل بينهن يصوره لنا الشاعر في أبياته التالية :

تَزَوَّجْـتُ اثْنَتَيْنِ لِفَـرْطِ جَهْلِي ... بِـمَا يَشْـقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَـتَيْنِ

فَقُـلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُـمَا خَرُوفاً ... أُنَـعَّـمُ بَيْـنَ أَكْـرَمِ نَعْجَـتَيْنِ

فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسِي ... تَـدَاولُ بَيْنَ أخْبَـثِ ذِئـبْتَـيْنِ

رِضَا هَـذِي يُهيجُ سَخْطَ هَذِي ... فَمَا أَنْجُو من إحْدَى السَّخْطَتَيْنِ

وألقَى فِي الْمَعِيشَـةِ كـلُّ ضُرٍّ ... كَـذَاكَ الضُّـرُّ بَيْنَ الضـَّرَّتَيْنِ

لِهَـذِي لَيـلَةٌ وَلِتـلْكَ أُخْـرَى ... عِـتَـابٌ دائـمٌ في اللَيْـلَتَـيْنِ

فَإِنْ أحْبَـبْتَ أنْ تَبْقَى كَرِيمـاً ... مِنَ الخَيْـراتِ مَـمـلُوءَ اليَدَيْنِ

فَعِشْ عَـزباً فَإِنْ لَمْ تَسْتَـطِعْهُ ... فَواحِـدَةٌ تَكْفِيـك شَرَّ الضُّرَّتَينِ

وقول الشاعر (فعش عزباً) ربما يكون موضعاً لاعتراض الكثير ، بأنـه خارج عن المنهج الإسلامي ، ومناف للفطرة .

أقول : إن قولته هذه إنما هي زفرة وصيحة ، ولَّدتها تجربته المؤلمـة مـع زوجتيـه ، ولا يقصد بها دعوة حقيقة للعزوبية ، ودليل ذلك أنه أعقبها بقوله : (فواحدة تكفيك) وفيه دعـوة للزواج بواحـدة ، وهذا رأيه الذي تمخض عـن تجربة ذاتية قاسية ، وهو لا ينافي الإسلام في شيء فإن الله تعالى يقول :

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾[1].

وإنه لأمر مريع ما نسمعه من شفاه النساء ، وما ينطق به لسانهن من سوء معاملة الأزواج الذين أقدموا على التعـدد بحماس مجهول ، فأسـاءوا إلى هـذا النظام الحضاري الواعي ، وقلبوا صورته في الأذهان ، ونَفَّروا منه القلوب بما

---

(١) النساء : بعض الآية ٣ .

يرتكبون من حماقات وجهالات ناتجة عن عدم فهم لمشروعية التعدد ، وأصوله ، وأركانه التي منها (العدل) .

قد يرى بعض أبناء آدم أن هذه المسألة مسألة (عدم العدل بين الزوجات) لا تعدو أن تكون حالات خاصة ، أو نادرة ، فهي إذاً ليست ظاهرة اجتماعية تستحق العرض والبحث والتحليل .

وأنا أقول لهم : إنه ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع إلا كثرة ما سمعت ، وما عايشت من مشكلات أخوات لي في الله .

أما مجالس الرجال .. فإنها لا يمكن أن تحكي ، أو تصور بأمانة واقع المرأة وما تقاسيه ، وإنما هي تحكي مثالية آدم بين زوجاته ، فهي صورة مزيفة للحياة المثالية للرجل المعدِّد حتى يتشجع من يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، ويقدم بثقة مهزوزة .

والرجل لفرط كبريائه وغروره يأبى ، ويأنف الاعتراف حتى بينه وبين ذاته بعدم عدله بين زوجاته ، لأنه لو اعترف بينه وبين نفسه بأخطائه ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، لكان هذا هو طريق الإصلاح ، وطريق زوال جميع العقبات والصعوبات .

وأنا بدوري أنقل لآدم بصدق بعض ما يدور في مجالس النساء وقبل أن أبدأ في إبراز تلك الصورة أقول :

إن معظم المشكلات التي تعرضها المرأة لم يكن سببها هو التعدد في حد ذاته ، فمعظم الواقعات في هذه المشكلة مسلمات بمشروعية التعدد ـ وإن ثارت غيرتهن في بداية الأمر ـ إنما العيب كل العيب في عجز آدم عن تطبيق هذا المبدأ تطبيقاً إسلامياً قوامه العدل ، وأدى به فشله هذا إلى التشبث بقانون التسلط

ليحل به مشكلاته ، ويواري عجزه ويخفيه ، فعالج الداء بالداء .

❋ **فتلك أخت تحكي ..** أنها كانت في مرحلة الوضع الأخيرة تكابد آلامه وويلاته ، وبينما روحها معلقة بين السماء والأرض يدخل آدم مبتسماً يعلن عن زواجه بالثانية !!!

أما كان من الرأفة والرحمة والإنسانية يا أخي أن تقف معها في هذه اللحظات الصعبة القاسية تخفف عنها آلامها ، وتمسح عنها قطرات العرق التي تتفصد من جبينها ؟!!

أتعلم يا أخي : أن هذا الأمر لم يكن ليكلفك أكثر من كلمات حانية رقيقة ، ومشاركة وجدانية صادقة تسكِّن بها تلك الآلام وتهدئها .

أما كان من حق العشرة عليك أن تختار الزمن المناسب والأسلوب الملائم ، وتوضح لها الأسباب والدوافع بطريقة مقنعة وتسلك معها السبل التي ترضيها ، صحيح أن حواء ستثور عاطفتها وتتمرد ، ولكن هنا تظهر الرجولة الحقيقة في مهارتها ومقدرتها على ترويض هذه العاطفة الطبيعية الجامحة .

ستقول يا آدم : إن الشرع لم يشترط عليَّ أن أخذ إذن الزوجة .

وهذا صحيح .. ولكن الشرع في نفس الوقت لم يعن بذلك أن تتفنن في اختراع الأساليب التي تقهر بها المرأة ، وإنما ترك التصرف في الأمر لحنكتك وفطنتك في معالجة الأمور تعويلاً على حسن العشرة وحق القوامة .

← **وانظر إلى آدم الآخر** الذي تجاهل غيرة المرأة وعاطفتها ، وأخذ يرغمها على أن تذهب بنفسها إلى بيت العروس الجديدة وتخطبها له .

والويل لحواء إن هي أبدت رفضها ، وخالفت رغبته فهي حينئذ ناقصة دين يجب عليها أن تراجع دينها ، وتصحح عقيدتها ناهيك عن المقاطعة

الزوجية الكاملة ، والتهديدات المتعاقبة .

وهنا أقول لآدم .. هل سمعت يوماً في سيرة المصطفى ﷺ أنه أرغم إحدى زوجاته بأن تخطب له ؟؟

ألم تسمع بغيرة أمهات المؤمنين حين خطب رسول الله ﷺ ابنة الجون[1] وأراد أن يبني بها ، فقلن لها إذا أقبل عليك رسول الله ﷺ فاستعيذي بالله ، فلما أقبل عليها رسول الله ﷺ استعاذت بالله منه ، فقال لها : لقد استعذت بمعاذ ، فطلقها قبل أن يدخل بها .[2]

وهذا دليل على طبائع البشر ، وأن الغيرة أمر فطري في المرأة .

* **واسمع إلى حواء** .. وهي تذرف دمعاً ساخناً على المعاملة القاسية التي يعاملها بها زوجها منذ فكر في الاقتران بأخرى مع افتقاره إلى الباءة التي تمكنه من فتح بيت شرعي إلاَّ أن آدم أمام هذه الرغبة الملحة في الزواج تنازل عن كرامته ، وأخذ يطالب زوجته في إلحاح مقيت أن تقرضه مالاً حتى يتمكن من الزواج ، فكان تارة يهددها ، وتارة يتودد ويتحبب إليها كي تعينه مادياً ليحقق رغبته هذه ، وحين رفضت ذلك ــ وهذا بلا شك أمر طبيعي أن ترفض ــ انقلب على عقبيه ، وبدأ في إعلان الحرب عليها ومقاطعتها ،

---

(١) اختلف في التي استعاذت منه ﷺ فقيل هي عمرة بنت يزيد الكلابية ، ويقال هي كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان . السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٧/٤ ، وجاء في صحيح البخاري : (حدثنا الأوزاعي قال : سألت الزهري أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه قال : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها : إن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال لها لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك . البخاري ، كتاب الطلاق ، باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق : ٥٣/٧/٣ .

(٢) جاء في دلائل النبوة : ٢٨٩/٧ (أخبرنا سعيد بن قتادة أن نبي الله ﷺ دخل بثلاث عشرة ، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة ، وقبض على تسع ، فأما اثنتان منهن ، فأفسدهما ، فطلقهما ، وذاك أن النساء قلن لإحداهما إذا دنا منك ، فتمنعي فتمنعت فطلقها) .

وهجرها أياماً وليالي إلى جانب رشقها بالكلمات التي تذبح الأفئدة ، وتهتك كل أواصر المحبة بين الزوجين .

وحواء تقول : إن الإسلام قد أعطى آدم شرعية التعدد ، ولكن لم يعطه أبداً شرعية أن يكون مهر الثانية من مال الزوجة الأولى !!

حواء لم تسمع قط في سيرة سيد الخلق ﷺ ، أو سيرة الصحابة ، أو التابعين ، أن أُجبرت المرأة على إعطاء زوجها مالاً ليتزوج به أخرى !!

بل نجد الإسلام لعظمته وسماحته أثبت للمرأة حق الملكية بجميع أنواعها ، والتصرف في مالها بكل الطرق المشروعة ، فشرع الوصية والإرث لها كالرجال ، وزاد على ذلك ما أوجبه على الرجل من مهر ونفقة وإن كانت المرأة غنية ، بل وأعطاها حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة ، وسمح لها بالدفاع عن مالها والمطالبة به .

ألم تسمع قوله تعالى :

﴿ وءاتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾[1]

أي إن تنازلت المرأة عن بعض حقها في المهر عن رغبة منها ورضا دون إكراه أو إجبار عن طريق سوء العشرة أو المعاملة ، ودون اللجوء إلى أساليب المكر والخداع فلآدم أن يأكله هنيئاً مريئاً أي سائغاً لا تنغيص فيه ، فإن طلب منها شيئاً وحملها الخجل أو الخوف على الاستجابة له ، فلا يحل له أخذه ، لأن أي مال أخذ بسيف الحياء ، فهو مال حرام .

← **وذاك** آدم **آخر** لا يملك المقدرة المادية التي تمكنه من تلبية ضرورات

(١) النساء : ٤ .

الحياة ، فهو يتلقى معوناته من عائلة الزوجة ، ومع هذا نراه يصر على الزواج بالثانية ؛ لأنه سمع خطيباً في المسجد يحث على التعدد إنقاذاً لبنـــات **حـواء** اللواتي ضاقت بهن جدر المنازل ، فشعر في نفســه أنه واحد من فرق الإنقـاذ التي يجب أن تلبي النداء .

ولا شك أن الإمــام حين ألقى خطبته ما كـــان يقصــد ــ والله أعلــم ــ المبادرة بالزواج من غير أن تكون لدى الشخص الباءة .

وقد ازدادت الأدلة على آدمنا هذا وتكالبت عليه الحجج ، فجاره قد تزوج بأخرى ، وصديقه الآخر لديه مشروع الزواج بالثانية ، فهو ليس بـــأقل منـــهم رجولة ، وكأن التعــدد ميدان سباق لعبدة الذات واللذات ، وهكذا انقلبت حياتـــه إلى جحيم ، فهو قلق النفس ، محطم الفؤاد ، كسير الخاطر ، وانعكست نفســيته القلقة على زوجتــه فهربت المسكينة تجر أذيالها ، وانقهر الاســتقرار وجمــع أمتعته ورحل .

وآخر ما توصل إليه آدمنا هذا هو شراء سيارتين بالتقسيط ، ثم يبيعـــها في الحراج فيقبض الثمن ، ويقدمه مهراً للعــروس الجديدة ، ولم يفكر في كيفية تسديد الأقساط ، وكيفية إعالة أسرتين معاً ، علماً بأن تسديد الأقســاط شــهرياً يساوي راتبه الشهري كله !!!

وكل ما فكر فيه ليخرج من مأزقه هذا هو أن يغري زوجته بالعمل خـــارج البيت على بساطة شهادتها ، وأن تعمل بأجر زهيد يسد بعض مصروفها هـــي وعيالها ليتمكن هو من التسول على أهل الخير ليساعدوه في مصروف البيـــت الثاني ؟!!!

← **وهــذا آدم الــذكي** الذي استطاع بذكائه أن يقنع الجميع ــ ومنهــم

زوجته ـ بأنه ما أراد الزواج إلا ليُدمل جـراح العانسة ، ويعصم المطلقــة ، ويعف الأرملة ، فلما وافقه الجميع وأثنوا على شهامته ، وصفقوا لرجولته ، فإذا به يتزوج بفتـاة في عمر ابنتـه ـ بكر ـ بيضاء ـ جميلـة ، وعندمـا رأى الاستغراب يكسو وجه الجميع ، اعتذر إليهم بأنه تذكر قوله ﷺ : ((**هـلاّ بكـراً تلاعبها وتلاعبك**)) .

← **وإليك آدم ثـان** قد تلفح في ثياب الخداع ، واشترى منها ألواناً ولـه في كل موقف ثوب أجمل من الآخر .

تراه وقد تعمم بالإسلام ، ليضفي على شخصيته مزيداً من الوقار ليسـرق الثقة من قلوب الناس . تقدم آدم المخادع لإحدى الأسـر الكريمـة خاطبـاً ، فاستطاع بخداعه أن يأخذ بمجامع القلوب ، فهو يجيد التحـدث عـن الإسـلام والجهاد ، وحين سمعت به حـواء أحبته لدينه وفضلته ، على من تقدم إليـها في ذلك الوقت ؛ لأنها على حد قولها تحلم بحياة إسلامية سعيدة في ظل رجـل إيماني .

وتنازل الأهل عن كثير من التقاليد والعادات التي قد تقف عائقاً في وجـه هذا الزوج المثالي النادر ، ومهدوا له كل السبل ، فلم تكلفـه هـذه الزيجـة إلا دريهمات معدودة قدمها مهراً للعروس ، وأقنع الأهل بأنه وإن كان فقير الحـال فهو غني بالإيمان ، وقد استطاع بخداعه أيضاً أن يوهم الأهل بأنه طالب علـم مبتعث للخارج ، فلا داعي لتأثيث منزل شرعي الآن ؛ لأنه سيصحب عروسـه إلى موطن دراسته ، ووافق الأهل بحسن نيـة ، وتـم الـزواج ، وخرجـت العروس ومعها حقيبـة ملابسها فقط ، وبعد أيام قلائل اكتشفت أنـها عـروس رحالة ، فقد سـافر العـريس بعد أن وضع عراقيـل كثيرة تمنعه من أخذهـا

معه ، وظلت العروس تطوف بحقيبتها بين المنازل والديار تنتظر رجوع فتى الأحلام ، ومضت الأيام والأسابيع والأشهر ، وهو يتفنن في اختلاق المعاذير .

وأخيراً هب الأهل من نومتهم ، وطالبوه إما بتركها وطلاقها ، أو بأخذها معه ، وبعد طول أخذ ورد جاء العريس المنتظر ، وظن الأهل أن المشكلة قد أخذت في الانقراض ، ولكنهم فوجئوا به يطوف معها المنازل والديار ، وأحياناً يتركها في بيت صديقه بلا سؤال عنها ، وحين تسأله عن السبب يذكر لها أن لديه عملاً مهماً يستوجب عليه عدم البوح بتحركاته ، وأخيراً اكتشفت المسكينة أن عمله المهم هو انشغاله بوضع خطط وأساليب محكمة لخداع حواء أخرى ، وبالفعل نجح في إيقاعها في شباكه ، واكتشفت أيضاً أن سبب رفضه لاصطحابها إلى الدولة المبتعث إليها هو زواجه بثالثة هناك .

وقد وجد بعض أبناء آدم حلاً لمشكلة الباءة التي قد تقف حجر عثرة في طريق كثير منهم ، فأخذ يشترط في الزوجة الثانية أن تكون عاملة لتأتيه – على حد قوله – ومعها وعاؤها ووكاؤها ، لتكفيه مؤونة النفقة على البيت الثاني .

لقد نسي آدم أن تفكيره هذا قد عرَّاه من رجولته حين تنازل بنفسه عن أحد ركني القوامة وهو النفقة . إذاً ما مهمة آدم في البيت ؟!!

وكيف تحدد شخصيته في دائرة هذا التفكير المعوَّج ؟!!

ما الفائدة التي تجنيها المرأة عندما تقترن برجل تزوج مالها ؟!!

هي تقدم لآدم المال مقابل أن يهديها ساعات من اللذة الباطلة !!!

إذاً هي مقايضة ممقوتة ينكرها الإسلام لما فيها من إجحاف للمرأة .

قال ﷺ : « **لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا**

تزوجهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل)) .[1]

ولعل الذي يدفع **حواء** لقبول مثل هذه المقايضة هي نظرة المجتمع لها ، **فالكل يصرخ في وجهها** : أن الحقي وأدركي القطار الذي فاتك مهما كانت وسيلة الوصول إليه .

الكل يصرخ : أن تزوجي بأي رجل يتقدم إليك ما دام المهم أن تنجبي طفلاً يعينك على نوائب الدهر ، فالصحف قد امتلأت بآراء الصغار والكبار ، المتعلم منهم والجاهل ، فالكل أراد أن يدلي بدلوه في مشكلة **حواء** هذه .

وأمام هذه الصرخات التي قد أقلقت مسامع **حواء** ، وصكت آذانها فضلت أن تشتري زوجاً لتسد به أفواه المؤنبين . وقد وجد آدم أن سعره قد ارتفع في أسواق العانسات ، فأخذ يفرض نفسه وذاته ، ويعلي من قيمته الشرائية .

وكم من آدم أهمل بيته وأولاده لعدم مقدرته التوفيق بين مطالب البيتين إلى جانب مطالب أصدقائه .

← **فذاك** آدم الذي ينادي بعدم جواز خروج المرأة إلا مع ذي محرم فلما تزوج بالثانية سقط الأمر من يده ، وأصبح يرسل بناته الصغيرات وهن في عمر الزهور الرطبة مع سائق أجنبي ولمسافات طويلة يومياً ، لإيصالهن إلى المدرسة ، ويترك زوجته تلف في الأسواق الساعات الطوال لتقضي حاجاتها وحاجات البيت والأولاد ، وإذا ذُكِّرَ آدم تشدق قائلاً : (الضرورات تبيح المحظورات) ، والآخر أهمل اصطحاب أولاده على المائدة القرآنية ، فانصرف

---

(١) سبق تخريجه انظر ص : ١٧ من الكتاب .

الأولاد إلى الاهتمام بكرة القدم ، وبقية الألعاب والملهيات بعد أن كانوا في مقدمة صفوف حُفَّاظ القرآن ، فإذا ما ذَكَّرَه مذكِّر بحال أولاده قال :

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [1].

ومن أبناء (آدم) من احتال للأمر ، فترك زوجته الأولى في بلده بعد أن كبلها بالأولاد .

وترك عبء البيت ومسؤولياته العريضة عليها وحدها ، يعاونها سائق أجنبي . وظن أنه بتوفير السائق لها قد وفر لها كل احتياجاتها .

وسافر هو للعمل في بلد آخر ، ومن هناك أخذ يرسل إليها ترنيمات عذبة توضح لها عدم مقدرته العيش بمفرده ، فهو يخشى على نفسه الفتنة والانحراف، فالزواج في حقه واجب ، وهو لا يستطيع استقدامها ، لأن مصلحة الأولاد تقتضي جلوسها في بلدها .

وتزوج وهو قرير العين ، وانصب اهتمامه على البيت الثاني ، أما البيت الأول فأصبح شركة قديمة يزورها بين الفينة والفينة ، ليراقب سير العمل فيها ، ثم يعود إلى منتجعه ، فهو يعتقد أنه بعمله هذا قد وجد العذر الذي يقدمه بين يدي الله إذا ما سئل عن بيته الأول .

← **وذاك (آدم) الوقور** الذي يبجله كل من يراه لاستقامته وحسن سيرته التي استقاها من سيرة الرسول ﷺ العطرة ، فهو فيما يبدو قرأ كل سيرة المصطفى ﷺ ما عدا سيرته مع زوجاته وعدله بينهن ، فقد أغمض عينيه عنها وأشاح بوجهه متجانباً إياها .

فهو يتلذذ بتعذيب إحدى زوجاته نفسياً ، فقد لاحظ فيها شدة الغيرة ، ورأى

(١) القصص : ٥٦ .

تلهفها عليه ، وتمسكها به ، وكم من مرة رآها وهي تترمض أسى ، وتتقلب على جمر الغضى إذا رأته ذاهباً للأخرى .

فتضخمت الأنا عنده وشعر بفرح يغمره ، فهذه إحدى بنات **حواء** قد شغفها حباً ، وكلما أراد أن يشعر بذاته تفنن في إثارة غيرتها بمدح الزوجة الأخرى ، والإعلاء من شأنها ، والانتقاص من قيمتها هي ، وإبداء عدم الرضا عنها ، وازدراء أي عمل تقوم به ، واتهامها بالسذاجة ونقصان العقل ، ويلجأ أحياناً إلى هجرها وضربها تطبيقاً للسنة ــ على حد زعمه ــ في تأديب المرأة ، ولأنه يرى أن هذه الطرق هي الطرق السليمة في معالجة الغيرة ، ولم يكلف نفسه النظر في القرآن والسنة بحثاً عن العلاج الناجع لهذه العاطفة التي تسيطر على نفوس كثير من النساء .

لقد اعترف الإسلام بغيرة المرأة ورأى أنها أمر طبيعي ناتج عن حدة العاطفة مع تفاوت في درجاتها في نفوس النساء .

فلو كانت الغيرة الطبيعية خلقاً ممقوتاً لتنزه عنها أمهات المؤمنين وهن أطهر النساء وأتقاهن .

❋ **فهذه عائشة ــ رضي الله عنها ــ** كانت تغار من ذكر خديجة وهي الضُّرَّة التي لم ترها ، ومع ذلك لم تستطع كبح جماح غيرتها .

روي عنها أنها قالت : ((**ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها ، وثنائه عليها ، وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب**)) [1].

كما كانت ــ رضي الله عنها ــ تتنازعها الغيرة على الرغم من علمها

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن : ٤٧/٧/٣ .

بعدل الرسـول ﷺ ، ومساواته بين نسائه في النفقة والمعاملة فعنها رضـي الله عنها قـالت : « ألا أحـدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليـه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبـث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح البـاب ، ثم أجافه رويداً ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري ، ثـم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديـه ثـلاث مرات ، ثم انحرف ، فانحرفت ، فأسرع ، فأسرعت ، فـهرول ، فـهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل فقـال : مالك يا عائشة حشياً رابية ، قالت : قلت : لا شيء قال : لتخبرني أو ليخـبرني اللطيف الخبير قالت : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال : فـأنت السـواد الذي رأيت أمامي قلت : نعم فلهدني في صدري لهـدة أوجعتني ، ثـم قـال : « **أظننت أن يحيف الله عليك ورسـوله ؟ قالت : مهما يكتـم النـاس يعلمه الله .....** »[1]

ومن غيرتهن رضي الله عنهن ما نزل فيهن في قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيمٌ ﴾[2].

روت عائشة في سبب نزول الآية : (أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينـب ابنة جحش ، ويشرب عندها عسلاً ، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليهـا

---

(١) صحيح مسلم ــ كتاب الجنائز ــ باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها : ٦٧٠ رقم ٩٧٤ .

(٢) سورة التحريم : ١ .

النبي ﷺ فلتقل إني أجد فيك ريح مغافير ، أكلت مغافير ، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك ، فقال : لا بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ، ولن أعود له ، فنزلت : ﴿ **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ إلى أن ﴿ **إن تتوبا إلى الله ...** ﴾ لعائشة وحفصة) [1].

ومن غيرتهن رضي الله عنهن ، أنهن كن يتحزبن حزبين فقد روي : « أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة ، وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه ، فكلمته أم سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئاً ، فسألنها ، فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها فكلميه ، قالت : فَكَلَّمَتْهُ حين دار إليها أيضاً ، فلم يقل شيئاً ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها فكلميه ، قالت : فَكَلَّمَتْه حين دار إليها أيضاً ، فلم يقل شيئاً ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئاً ، فقلن لها كلميه حتى يكلمك ، فدار إليها فكلمته ، فقال لها : لا تؤذينني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة ، فقالت : أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته ، فقال : يا بنية : ألا تحبين ما أحب

(١) صحيح البخاري : كتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما أحل الله لك : ٥٦/٧/٣ ــ ٥٧ .

قالت : بلى ، فرجعت إليهن فأخبرتهن ، فقلن ارجعي إليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش ، فأتته فأغلظت ، وقالت : إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة ، وهي قاعدة ، فسبَّتها حتى أن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم . قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت : فنظر النبي ﷺ إلى عائشة ، **وقال : " إنها بنت أبي بكر الصديق "**[1].

وللنظر إلى الموقف النبوي الحكيم من هذه الحادثة ، لم يكن بيده ﷺ أن يتحكم في رغبات الناس ، وأن يشترط عليهم في الهبات وأماكنها ، وأوقاتها ، فهذا الأمر متروك للواهب ، وحين حصلت المشادة بين عائشة وزينب بنت جحش ــ رضي الله عنهما ــ ولاحظ ﷺ تعدي زينب على عائشة لم يتدخل هو في الدفاع عنها ، ولم تغلبه عاطفته نحو عائشة في النيل من زينب أو الإساءة إليها ، وإنما نظر لعائشة حتى تقتص لنفسها ، فتكلمت .

وفي موقفه هذا أدب رفيع يجب أن يسلكه الرجل مع زوجاته بأن لا يقحم أنفه بينهن ، فيميل بدفاعه إلى بعضهن ، فيوغر صدر الأخريات عليه ، وينصب العداء بينهن .

ومن مواقفه ﷺ التربوية ما رواه أنس قال : « **كان النبي ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فِلَق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة**

---

(١) صحيح البخاري ، باب الهبة :٢٠٤/٣/١ ــ ٢٠٥ .

الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت))[1].

فماذا كان موقف المصطفى ﷺ ؟؟ هل لطمها على خدها ؟؟ هل استهزأ من عاطفتها الثائرة ؟؟ بل على العكس لقد احترم ثورتها ، ولم يؤنبها على ما فعلت ، بل قام بنفسه ﷺ وجمع أجزاء الصحفة المتكسرة ، وطلب منها أن تعيد لأختها إناء صحيحاً بدلاً من الذي كسرته ، كل ذلك بأسلوب هادئ لطيف يروض كل عاطفة جامحة إذاً لم يأمر الإسلام بضرب المرأة التي تسيطر عليها الغيرة ، ولم يأمر بهجرها ، لأن في ذلك إثارة وإلهاباً لغيرتها فتصبح غيرة شعواء ممقوتة .

ومن الطرق النبوية السمحة في معالجة الغيرة ... هي مداراة المرأة ومهاودتها ، فمن المعلوم أن الكذب أمر محرم في الإسلام ، وهو من صفات المنافق ، قال ﷺ : ((**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف**))[2].

وعلى الرغم من شدة تحريم الكذب ، فقد أباحه الإسلام للزوج في التعبير عن عاطفته ، وفي مجاملاته مع زوجاته لتسكين عاطفتهن وتهدئة نفوسهن ، وتقديراً منه لدور العاطفة في حياة المرأة وحياة الأسرة والمجتمع بأسره .

ولم يبح الإسلام الكذب للاحتيال على النساء ومخادعتهن والخروج من بعض المآزق التي تواجه الرجل عند إحداهن ــ كما يفعل آدم أحياناً ــ ولقد وضح المصطفى ﷺ لآدم طبيعة المرأة التي جبلت عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا**

---

(١) صحيح البخاري ــ كتاب النكاح ــ باب الغيرة : ٤٦/٧/٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الشهادات ، باب من أمر بإنجاز الوعد : ٢٣٦/٣/١ .

يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً »[1].

وقال ﷺ في حديث آخر : « **المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج »**[2].

وهذه الأحاديث ليست انتقاصاً للمرأة كما يحاول بعضهم إثبات ذلك ، بل فيها التماس العذر لبعض سلوكيات **حواء** ، وهو تبصير وتذكير للرجل بطبيعة المرأة ، وإرشاد له إلى طريقة معاملتها باللين والرأفة ، وإعلامه لزوم التغاضي عن بعض سلوكياتها إن كان يلتمس السعادة الحقيقية ، وإن كانت الغيرة بين النساء أمر عام ، فهي بين الضرائر أخص وأشد ، ويحتاج الإصلاح والحكم بينهن إلى رجل يخاف الله ويتقيه .. إلى رجل قد أوتي من الصبر والحكمة قدراً كبيراً .

وحواء .. في آخر حديثها تتساءل ؟!!

- ما حكم الإسلام في الذين يسيئون فهم حقيقة التعدد ويفتقرون إلى أهم عناصره (العدل) ، فيسيئون بذلك إلى مبدأ مهم من مبادئ الإسلام الحضارية ؟
- ما حكم الإسلام في آدم الذي يمتهن حقوق المرأة ويحرمها الكثير منها باسم التعدد ؟
- ما حكم الإسلام في آدم الذي يمتطي صهوة المكر والخداع لتحقيق

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء : ٣٤/٧/٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب المدارة مع النساء وقول النبي ﷺ : إنما المرأة كالضلع : ٣/٧/ ٣٣ ـ ٣٤ .

فرضية التعدد ــ على حد زعمه ــ ؟

ما حكم الإسلام في آدم الذي لا يمتلك الباءة ، والقدرة على إقامة بيت شرعي ثان ؟

ما الهدف من شرعية التعدد ؟ هل هو فقط تمكين الرجل من إفراغ طاقته الجنسية بأي شكل من الأشكال ضارباً بكل مبدأ وشرع آخر ؟

هذه الطاقة التي أصبحت المشكلة الأساس التي يتغنى بها كل رجل اليوم ، فالرجل ما إن تصل زوجته الثلاثين من عمرها حتى يسيطر عليه الوهم بأنها غير قادرة على تلبية مطالبه ، كيف لها ذلك وهو في شرخ الشباب وعنفوانه ؟ ويصيبه غرور عجيب بمقدرته وطاقاته ... وغفل آدم عن أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد هيأ المرأة تهيئة تواكب التطورات التي تطرأ عليه .

فالمرأة في سن الثلاثين فما فوق تصبح أكثر نضجاً ، وأعظم عطاء وأقدر على تلبية مطالب الرجل ــ وهذه هي المرحلة الذهبية في عمر المرأة ــ فلقد اقتضت السنة الإلهية أن زيادة الرغبة عند الرجل يقابلها زيادة استعداد عند المرأة .

صحيح أن هناك فئات من الرجال قد أودع الله فيهم طاقات لم يودعها في غيرهم توجب عليهم البحث عن الأخرى ، وهذا أمر لا يمكن إنكاره ، ولكنها ليست قاعدة مطردة كما نراها اليوم حيث أصبح الأمر هاجساً يقلق معظم الرجال ، ويشغل حيزاً كبيراً من تفكيرهم ويأخذ جُلّ وقتهم ، وأصبح حديث مجالسهم المفضل ، فشغلوا به عن الجهاد والدعوة .

فعلى آدم أن يختبر نفسه ، ويكون صادقاً معها ليعلم صدق هذه الرغبة ، وهل يحتاج فعلاً إلى زوجة أخرى ، وعليه أيضاً أن يختبر جميع إمكاناته

ومقـــدرته ، في تحقيق هذا المطلب ويدرس نتـــائج هذا الـــزواج على الأســـرة والمجتمع ، هل يستطيع بزواجه الثاني والثالث أن يخــــرج رجـــالاً صـــالحين للمجتمع ، أم يخرج أحداثاً عاطلين يكونون عبئاً على الأمة الإسلامية ، فتفكـــير الفرد يجب ألا يكـــون ذاتياً فردياً محضاً بل عليه أن يربـــط تفكـيره بالمنـــهج الكوني العام ، فإذا وجد الشخص في نفسه طاقة جنسية زائدة مـــع نقـــصٍ فـــي الإمكانات الأخرى التي تمكنه من الزواج بثانية ، وعجزٍ في مواصلة التربيـــة الإسلامية لأبنائه ، فليلجأ إلى علاج المصطفى ﷺ حيث قال : ((**من اســـتطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لـــم يســـتطع فعليـــه بالصوم فإنه له وجاء**))[١].

هذا الحديث للراغبين في الزواج من واحدة ، ولا يملكون الباءة والإمكانات التي تخولهم لتكوين أسرة إيمانية ، دلهم المصطفى ﷺ على الإكثار من الصوم فهو عبادة فيها كسر للشهوات .

ومن باب أولى أن يأخذ بهذا الحديث من له زوجة واحدة ولا يملك الباءة .

ومن أراد الزواج بالثانية أو الثالثة ، لأن عنده فضل مال فأنا أقـــول لـــه : إن كنَّا نفكر حقيقة في مجتمع مسلم مترابط ، وإن كنت أنت يا أخي غيوراً على دين الله ، راغباً في درء المفاسد ، هازماً للشيطان حارقـــاً لمكـــائده ، داحـــراً لأنصاره ، فعليك بالإيثار ونزع الأنانية المســـيطرة علـــى النفـــوس بمســـاعدة الراغبين في الزواج ممن لا يجدون المال الكافي فتعتق بذلك رقابهم من النار .. النار التي تنـــاديهم وتصطادهم بحـــبل شهواتها ، وتكون ممن قال الله فيهم :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[٢].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ٣٤/٣/١ .

(٢) سورة الحشر : ٩

ولك في الأنصار أسوة حسنة ، فأمر مؤازرتهم للمهاجرين يعد مفخرة للأمة الإسلامية عِبر تاريخها الطويل ، فحين خرج المهاجرون من ديارهم فراراً بدينهم استقبلهم الأنصار ، وقاسموهم الأموال والديار حتى أن بعضهم ممن كان عنده أكثر من زوجة عرض على أخيه أن يختار إحدى زوجاته ليطلقها ويزوجها له بعد قضاء عدتها ... جاء في صحيح البخاري :

((**حدثنا إسماعيل ابن عبد الله ، قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إنِّي أكثر الأنصار مالاً ، فَأَقسِمُ مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تابع الغدو ، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة ، فقال النبي ﷺ مهيم ؟ قال تزوجت ، قال : كم سقت إليها ؟ قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب ، شك إبراهيم**))(١)

فهلاَّ كنت يا أخي أنصارياً لأخ لك يريد أن يهاجر من أرض العزوبة وما فيها من مخاطر ومفاسد إلى أرض الزواج وما فيه من أمن واستقرار ؟!!

وفي نهاية المطاف أقف لأقول : إن للشعر أثره في جلاء الفكرة ، وإبراز العبرة ، وتحريك النفوس ، وحثها على اتباع الصواب ، ولله در الشاعر الإسلامي محمد مصطفى حمام ، فقد صور لنا قضية التعدد في الإسلام ، ولخصها في كلمات قليلة ، وبأسلوب سهل رقيق معبر ، فقال :

---

(١) صحيح البخاري : باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار : ٣٩/٢/٢ .

تَزَوَّجُــوا وَانْظِمُــوا أوْطَــانَنَــا أُسَــرا
لا تَترُكُــوا وَطَــنَ الأمْجَــادِ مُنْتَــثِــرا
لا تَجْعَــلُوا البَــيْتَ والتَّــزْوِيجَ مُشْكِــلَةً
ويَسِّــرُوا مِنْ أُمُــورِ الــدِّينِ مَا عَــسِرَا
لا تَخْــشَوا الفَقْــرَ كَــمْ مِنْ أُسْرَةٍ شَبعَتْ
عِــزَّاً ومَــالاً ، وفَــرْدٍ خَــابَ وافْتَــقَرَا
وَلا تَخَــافُــوا شِــقَاقــاً فِــي بُيــوتِــكُمْ
بَلْ اضمِرُوا الحُبَّ يَبْقَى الحُــبُّ مُنْتَصِراً
وَإنْ تَعَــاضَلَكُــمْ خِــلْــفٌ وَأَعْــضَــلَكُمْ
فَخَــالِــفُــوا آمِــرَ التَّفْــرِيقِ إنْ أَمَــرَا
وَاسْتَخْلِــصُوا حكَماً مِنْ أهْــلِكُمْ وَخُــذُوا
مِنْ أهْلِــهَا حكَمــاً وَاستَرْحِــمُوا القَــدَرَا
ولَسْتُ أرْضَى سِــوَى الأهــلِينَ مَحــكَمَةً
ولْيَبْــقَ سِــرِّي وَسِــرُّ البَــيْتِ مُــدَّخِرا
فَإنْ قَــضَى اللهُ تَفْــرِيقَــــاً فَــنَــازِلَــةٌ
إنْ تَــلْقَ صَبْــراً فَطُــوبَى لِلَّذِي صَبــرَاَ
وَرُبَمَــا كَــانَ في التَّفْــرِيــقِ مَنْفَــعَــةٌ
قَــدْ يبْرَأُ الجِسْــمُ مِنْ عُضْــوٍ إذَا بُتِــرَا
حَيَــــاتُنَا صَــفَــقَــاتٌ تِــلْكَ وَاحِــــدَةٌ
مِنْهَــا ، فَــذَا رَابِــحٌ فِيهَــا وذَا خَسِــرَا

وَمَــنْ يُعَــدِّدْ زَوَاجَــاً دونَ مَلْــجَــئَةٍ

فَقَــدْ أتَــى بِضِــرَارٍ أوْ أتَــى ضَــرَرَا

لَيــسَ التَّــعَــدُّدُ إلاَّ رُخْــصَــةً فَــإذَا

أسْــرَفْتَ فِيهَــا رَكِبْتَ الْحُمْقَ والخَطَرَا

مَــنْ يَنْــتَقِــصْ حَــقَّ أُولاهُ لِثَــانِيَــةٍ

لَمْ يَلْــقَ مِنْ رَبِّــهِ عَفْــواً إِذَا اعْتَــذَرَا

وَفِي التَّعَــدُّدِ إنْ أدرَكْــتَ حِكْــمَتَــهُ

بِــرٌّ وَرُحْــمَى وَجَــبْرٌ لِلَّــذِي كُــسِرَا

مَــنْ لِلْمُطَــلَّقَةِ الحَسَنَــاءِ يَعْصِمُهَــا

وَلِلْعَــوَانِسِ تَفْــنِي عُمْرَهَــا ضَجَــرَا

وَلِلأرَامِــلِ وَالأحْــزَانُ تَعْصِرُهَــا

وَالحُــزْنُ يَفْتِكُ بِالأعْوَادِ إنْ عَصَــرَا

وَمَــنْ لأُمِّ اليَتَــامَى ؟ هَلْ تَقُــوتُهُمْ

بِالخَــدِّ مُعْتَصِــراً وَالقَــدِّ مُهْتَصِــرَا

وَمَــا الغِطَاءُ لِمَنْ زَلَّتْ وَسَاوَرَهَــا

مِــنَ الفَضِيحَةِ طَيْفٌ يُرْسِــلُ النُّــذُرَا

وَمَــا السَّبِيــلُ إلى ذُرِيَّــةٍ نُجُــب

إنْ كُنْتَ زَوجَ عَقِــيمٍ حَظُّهَــا عَثَــرَا

هُــوَ التَّعَــدُّدُ يَهْدِي الغَــارِقِينَ إلى

بَــرِّ الأمَــانِ وَيَبْنِي بَيْتَــنَــا أُسَــرَا

هُوَ التَّعَدُّدُ كَمْ آوى اليَتِيمَ وَأشْبَـاهَ اليَتِيمِ

وكَـمْ واسَـى وكَـمْ سَـتَـرَا

هُـوَ الحَـلالُ الَّذِي يُنَقِّي الحَرَامَ وكَـمْ

حَمَى مِنَ الفُحْـشِ أُنْثَى أوْ حَمَى ذَكَـرَا

عَـدِّدْ إنْ استَطَعْتَ لَكِـنْ عَـادِلاً لَبِقـاً

لا تُعْطِـينَّ الهَوَى سَمْعـاً وَلا بَصَـرا

وَاحْكُـمْ رَعَايَاكَ بِالْحُبِّ الصَّحِيحِ تَجِـدْ

مَغْنَـاكَ لا غِـيرَةً يَشْكُـو وَلا غِـيَرَا

وَاسْـألْ ضَمِيرَكَ فِي أمْـرِ التَّعَـدُّدِ لاَ

تَلْجَـأ لِقَـاضٍ وَلا تَسْتَـأذِنِ البَّشَـرَا

إذَا جَـرُؤْتَ عَلَى قَـاضِي السَّمَاءِ فَلَنْ

تَكُـونَ بِقَـاضِي الأرْضِ مُزْدَجِـرَا[١]

❧ ❧ ❧

ومن أنفس الحكم ، وأبلغ المواعظ في هذا الباب قول الإمام ابن الجـوزي في صيد الخاطر :

« من أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء ، وإنه أولاً يتشتت همه في محبتهن ، ومداراتهن ، وغيرتهن ، والإنفاق عليهن ولا يأمن إحداهن أن تكرهه وتريد غيره ، فلا تتخلص إلا بقتله ، ولو سلم من جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهن ، فإن سلم لم ينج من السآمة لهن أو لبعضهن ،

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية ــ أحمد عبد اللطيف الجدع ــ حسني أدهم جرار : ٤٠/١٢٠ ــ ١٢٢ ، وانظر كذلك : قصائد إلى الأم والأسرة ، حسني أدهم جرار : ٨٩ ــ ٩٠ .

ويطلب ما لا يقدر عليه من غيرهن ، حتى أنه لو قدر على نساء بغداد كلهن ، فقدمت امرأة مستترة من غير البلد ، ظن أنه يجد عندها ما ليس عندهن ، ولعمري أن في الجدة لذة ، ولكن رب مستور إذا انكشف افتضح ، وإذا سلم من كل أذى يتعلق بهن أنهك بدنه في الجماع .

فيكون طلبه للالتذاذ مانعاً من دوام الالتذاذ ، ورب لقمة منعت لقمات ، ورب لذة كانت سبباً في انقطاع لذات .

والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه ، ولا بد أن يكون فيها شيء لا يوافق ، إنما العمل على الغالب . فتوهب الخلة الرديئة للمجيدة[1] ، وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة .

ومما يهلك الشيخ سريعاً الجماع ، فلا يغتر بما يرى من انبساط الآلة ، وحصول الشهوة ، فإن ذلك مستخرج من قوته ما لا يعود مثله فلا ينبغي أن يغتر بحركة وشهوة ولا يقرب من النساء إن كان له رأي في البقاء)) .[2]

---

(١) أي يغتفر لها الصفة السيئة فيها من أجل الصفة الحسنة .

(٢) صيد الخاطر ، ابن الجوزي : ٣٦١ .

آدم والعلاقات الزوجية

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين ليست هي الهدف الرئيسي من الــزواج ، ولكنها عامل فعَّال في إنعاش الحياة ، وتماسكها ، واستمراريتها مما يكفل للهدف الرئيسي (الذرية) البقاء .

فإن إهمال دراسة مشكلات هذه العلاقة يصيب الحياة بالتوتر والقلق ، بــل ربما تكون هي الأساس الأكبر في الصدع الذي يصيب كثيراً من الأســر ، لأن عدم رضاء الطــرفين واقتناعهما بصحة وصدق تلك العلاقــة ينعكــس علــى نفسيتهما ، وبالتالي تنعكس هذه النفسية على الحياة الأســرية ، ومنــها علــى المجتمع بأسره ، ولعل السبب في تأزم هذه المشكلة في مجتمعنا هو الغمــوض ، والتعتيم الذي يغلف هذه العلاقة نتيجة للخجل الذي ترعرع في نفس **حــواء** . أقول الخجل وليس الحياء ، لأن الخجل حالة مرضية مذمومة ، والحياء حالــة خاصة صحية محمودة .

وعلى آدم في بلدي أن يعذر **حــواء** ، ويحاول جاهداً معالجة موقفــها بالحكمة فهي رهينة ظروف بيئية وأسرية تمنعها من تلبية كثير من رغبــاته ، فقد تعلمت منذ صغرها أن كل حديث عن هذه العــلاقة إنما هو عيب لا يجــوز للفتاة التحدث فيه . فقد تُزَّف إلى بيت الزوجية وهي تجهل كل حقــائق هــذه الحياة ، فتصدم بواقعها صدمة عنيفة تنعكس آثارها حتى آخر حــياتها إن لــم تجد آدم واعياً حكيماً صبوراً ينتشلها من براثن هذه الصدمة .

ومن الحقائق التي يجب أن يعلمها آدم : أن كثيراً من بنـــات **حــواء** لديهن استعداد لتلبية رغبات آدم ، ولكن الحياء يمنعهن من المبادرة ، فعليك أن

تأخذ بيد **حواء** خطوة خطوة ، فأنت وإياها كأستاذ وتلميذه فعلى قدر ذكاء المدرس وعلو همته ، ومقدرته على إيصال معلوماته يكون عطاء تلميذه .

وإنه لأمر جد خطير ما نسمعه من أفواه النساء عن الفتور العاطفي الذي يصيب الحياة الزوجية بعد مرور السنوات الأولى من الزواج ، فبدل أن تتعمق جذور هذه العلاقة بظهور ثمارها في عدد من الأبناء نراها تذبل وتتداعى ، وتصبح صورة باهتة مهزوزة للحياة الأسرية ، فحتى أقل الكلمات العاطفية التي كان الزوجان يتبادلانها أصبحت محرمة بينهما غريبة على آذانهما .

ولهذا الفتور نتائجه الوخيمة على الحياة الأسرية حيث يشعر الزوجان بالملل ، ويسيطر عليهما التوتر والقلق ، ويحل الجفاف على قلبيهما ، فتتسع الهوة بينهما ، وتندلع على أثر ذلك الخلافات والمشاحنات .

ولا يجد **آدم** حلاً لمشكلته هذه غير الهروب من المنزل والانشغال بالأصدقاء ، والتفكير السريع في الزوجة الأخرى ، والكل يلوم **حواء** ويتهمها بإهمال زوجها وانشغالها بالبيت والأبناء ، وكأنها هي وحدها سبب هذا الفتور ، وهذا الصدع الذي أصاب الأسرة ... وهذا لعمري حيف وظلم لها ، **فحواء** التي تكد ، وتشقى طوال اليوم لتلبية مطالب الأسرة وتحقيق الأمن ، والاستقرار لها لهي في أشد الحاجة إلى كلمات حانية رقيقة يخفق لها قلبها ، ومع خفقته يزول كل أثر للتعب ، بل تكون تلك الكلمات اللطيفة قوة دفع لها تشجعها على العطاء المثمر في فرح وحبور .

وهذه الكلمات الحانية لها دور فعال في تجديد نشاط **حواء** مما يضفي على الأسرة حيوية وتلاحماً .

وهناك من الرجال من يرى أن العلاقة الزوجية هي مجرد إطفاء لشهوته

يؤديها بشكل رتيب لا حياة فيه متعللاً بكثرة أشغاله ، وأعماله التي لا تسمح له بهذه المهاترات الصبيانية ، ومعتقداً أن في جفافه هذا حفاظاً على مكانته ورجولته ، أما ملاطفة الزوجة ، وتدليلها ، فهو عمل صبياني من اختصاص المراهقين فقط .

ولمثل هؤلاء أقول : إن النبي ﷺ ، وهو أشرف الخلق ، وأعظمهم رجولة ، وأكثرهم انشغالاً بأعباء الدعوة كان يلاطف نساءه ويمازحهن ، قالت عائشة رضي الله عنها : « **كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه في موضع فِيَّ فيشرب ، وأتَعَرَّقُ العَرْقُ ، وأنا حائض ثم أناوله النبي فيضع فاه على موضع فِيَّ** » .[1]

فتجاهل حق المرأة ورغبتها وميولها في العلاقة الزوجية يعد هدراً لكرامتها ، يقول الأستاذ عبد القادر أحمد عطا :

(على أن هناك ناحية يغفلها الكثير من الأزواج وهي إرضاء كبرياء الأنوثة عندهن ، فلا يعاملها جنسياً معاملة المتاع الممتهن ، بل يشعرها بقيمتها عنده ، وضرورتها له بأي أسلوب يتناسب مع شخصيتها ، ومع درجة اعتزازها بأنوثتها ، فتلك ثقافة يجب ألا تغيب عن الأزواج لمدى أهميتها في توثيق الروابط الزوجية ، وفي بقاء شخصية الزوجة قوية نابضة بالحيوية) .[2]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن : ٢٤٥/١ ــ ٢٤٦ رقم (٣٠٠) ورواه أبو داود ، كتاب الطهارة : ٩٦/١ رقم ٢٥٩ ، والنسائي ٥٦/١ ــ ٥٧ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الطهارة باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها : ٢١١/١ رقم ٦٤٣ ، مسند الإمام أحمد : ٦٤/٦ ، ١٢٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤ .

(٢) اللقاء بين الزوجين : ٩٩ .

آدم والزينة

لقد سمعت حـواء كثيراً عن وجوب تزينها لزوجها ، وحفظت عن ظـهر قلب ما حيك حولها من قصص ساخرة تصور حـواء وهـي تقـابل زوجـها بالشعر المنفوش ، ورائحة البصل تفوح منها ، وكم أثارت فينا هـذه الصـورة الضحك ، وكان لها أثر كبير في تغيير كثير من النساء .

ولا شك أن آدم كان أكثرنا سعادة بهذه الصورة الهزلية ، لأنها تحدثـت عن هواجسه النفسية ، وأبرزت معاناته الداخلية .

ملأ آدم يديه بالأدلة التي تدين حـواء وتدفعها للتزين لآدمها ، ولكنـه اشتط في مطالبه ، فنراه يطالبها بأن تكون كـإحدى الممثـلات فـي أناقتـها ، ومكياجها ، وفي حركاتها ، وضحكاتها ، وخفة ظلها يريدها أن تكون مراهقـة دائماً حتى في حالة وجود الأطفال والخادمات .

وحـواء تقـول :

أما بالنسبة للأناقة فهذا أمر لا تعذر فيه حـواء ، وهي مطالبة بـه ليـل نهار ، لأن المجتمع اليوم غير مجتمع الأمس ، فـالتبرج قـد تفشـى وانتشـر وأصبحت النساء المتبرجات على شاشات التلفاز ، وعلى قارعة الطريـق ، ولا بد أن يكون لذلك أثر على نفسية آدم ، وتشكيل ذوقه ، وحتماً سـيكون لذلـك مردوده على زوجته .

فإذا كان من حق آدم أن يطـلب حـواء بزيـادة أناقتـها ، فعليـه أن يساعدها على ذلك ، ويأخذ بيدها تدريجياً ، وأن يمدها بالمادة التي تكفـل لـها تحقيق تلك الأناقة ، وعليه ألا يطالبها بارتكاب المحرمات كأن يجبرها على لبس

الملابس الشفافة أو القصيرة ، أو الشورتات ، أو البنطال الضيق في حالة وجود الأطفال والخادمات ، لأن لذلك أثراً كبيراً على تربية الطفل .

إلى جانب ذلك عليه أن يمتدح ذوقها كلما لبست زياً جديداً ويظهر لها اهتمامه بها ، فليس من اللائق أن ينتقدها على قلة أناقتها ، ثم إذا حاولت أن تتدارك هذا الأمر تجاهلها هو ، ونسي أنه وجه إليها يوماً انتقاداً أقضَّ مضجعها.

فتلك حواء ... تذكر أنها تحاول وتجتهد في التأنق والتزين لزوجها ولكنه لا يعيرها اهتماماً ، ولا يلتفت إليها ، ولهذا أثره الكبير على نفسيتها مما جعلها تتراجع عن عزمها ، ولكنه ما يلبث بين الفينة والفينة يرشقها بالانتقادات اللاذعة .

وتلك .. تسأل آدمها عن الألوان التي يفضلها ويحبها ، فتكون الإجابة عبارة عن اتهامات بتضييع الوقت ، وإنفاقه في غير وجهه .

وهذا كله دليل على استجابة **حواء** ، ورغبتها في إصلاح شأنها ، ولكن آدم يعرض ويصد .

وحواء تتساءل ... لماذا تكالبت وسائل الإعلام عليها وحدها تنتقدها وتنتقد إهمالها لأناقتها ومظهرها ؟!!

لِمَ لَم يُوَجَّه إلى آدم مثل هذه الانتقادات ؟!!

لِمَ لَمْ يُصَوَّر الرجل بالصورة الهزلية اللاذعة التي صُوِّرت بها المرأة ؟!!

سيقول قائل : الزينة من طبع النساء .

وأقول بدوري : أنا أتحدث بمنطق الإسلام ، وأسأل هل أوجب الإسلام الزينة على المرأة دون الرجل ؟!!

هل من حق آدم أن يتمتع بالنظافة والجمال وحده ؟!!

هل من الواجب على **حواء** أن تفوح منها رائحة العطر الجذابة وتستقبل **آدم** وقد فاحت منه رائحة العرق النفاذة ؟!!

هل من الواجب عليها أن تلبس أجمل ملابسها في البيت قبل أن تلبسها في الحفلات والمناسبات حتى يتمتع **آدم** ، وهو يلبس الإزار (الفوطة) والبيجاما ، وثياب النوم طوال اليوم ؟!!

هل على **حواء** أن تستاك قدر ما تستطيع حتى لا يشم منها إلا أطيب ريح بينما هي تشم رائحة الدخان أو رائحة الفم المهملة ؟!!

وبعض الرجال ينكر على نسائه أكل الثوم والبصل ، ويبيحها لنفسه ، وكأن الكراهية خاصة بالنساء ؟! وبعضهم يحلو له التجشؤ بصوت مسموع في أي وقت ، وبأي شكل دون مراعاة لشعور ونفسية زوجه ظناً منه أن هذا العمل من مكملات الرجولة !!!

ولله در المنصف إذ قال :

(ويخطئ الكثير من الرجال حين يرى أن المرأة يعجبها الرجل على كل حال من أحواله ، سواء أكان قذر الثوب ، خبيث الرائحة ، أبخر الفم ، أو كان نظيفاً طيب الرائحة ، ولكن المرأة كائن حي عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل ، فكيف يهدر إحساسها وذوقها على هذه الصورة التي بقيت من تراث الجاهلية ؟!!

إنها تحس كما يحس الرجل ، وأكثر مما يحس الرجل في هذه الناحية ، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه العيوب المنفرة التي تباعد بين قلبها وبينه ، وتحرمها من متعة الاتحاد الجنسي معه ، وقد يمنعها خوفها على حياتها الزوجية من التمزق ، فتسكت على مضض وهي بعيدة عنه ، ليس له

منها سوى جسدها ، أما قلبها فيتمزق ألماً ويتحرق شوقاً إلى اتحاد جنسي كامل .

وقد يؤدي إهمال الرجل لمظهره ونظافته إلى وقوع الزوجة في الزنا ، وهكذا أخبر رسول الله ﷺ كما روى الطبراني أنه قال : ((**اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعوركم ، واستاكوا ، وتزينوا وتنظفوا ، فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك ، فزنت نساؤهم**))[1] .[2]

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة ، فقد كان ﷺ أنظف الناس وأطيبهم ريحاً ، وأشدهم اعتناء بمظهره ، فعن أنس بن مالك عن أبيه : ((**كان لرسول الله ﷺ سكة[3] يتطيب منها**)) .[4]

وعن أنس رضي الله عنه قال : ((**ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من ريح أو عَرْفِ النبي ﷺ**)) .[5]

وكان ﷺ يهتم بترجيل شعره ، وبحسن مظهره ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((**كنت أُرَّجل رسول الله ﷺ وأنا حائض**)) .[6]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : ((**كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد**

---

(١) ضعيف الجامع الصغير ، الألباني : ٣١١/١ .
(٢) اللقاء بين الزوجين : ٦٧ ــ ٦٨ .
(٣) السكة : بضم السين وتشديد الكاف ، هي طيب أسود يخلط ويعرك ويترك وتظهر رائحته كلما مضى عليه الزمن ، ويحتمل أن تكون وعاء يوضع فيه الطيب ، وهو ظاهر .
(٤) أخرجه أبو داود في سننه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، انظر : سنن أبي داود ، كتاب الترجل ، باب استحباب الطيب ، ك ٢٧ ، ب٢ حديث رقم ٤١٦٢ صحيح الجامع الصغير : ٢٤٢/٤/٢ رقم ٤٧٠٧ .
(٥) صحيح البخاري : باب صفة النبي ﷺ : ٢٣٠/٤/٢ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الحيض : باب غسل الحائض رأس زوجها : ٨٢/١/١ .

ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنه رأيته في حُلَّة حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسن منه » [1].

وجاء في موطأ مالك : كان رسول الله ﷺ في المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج ، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ، ففعل ، ثم رجع ، فقال رسول الله ﷺ : « **أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان »** [2].

والنظافة المطلوبة من الرجل هي نفسها المطلوبة من المرأة ، ومنها التقيد بسنن الفطرة الخمس التي ذُكرت في قوله ﷺ : « **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط »** [3].

وهذا الحديث يشمل النظافة الداخلية والخارجية التي سُنَّت لآدم وحواء ، لا كما يعتقد بعضهم أنها من اختصاص حواء وحدها . وقد أكد ﷺ على نظافة الفم ، لأن رائحة البخر أكبر خطر يهدد الحياة الزوجية ، ويبعث النفور بين الزوجين ، وينذر حياتهما بالتفكك والتمزق ، فشدد ﷺ على هذا الأمر ، فقال : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »** [4].

وكان ﷺ يلزم السواك ومن ذلك ما روي أنه « **كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك »** [5].

ولقد حث الرسول ﷺ على النظافة ، وحسن المظهر في جميع الأحوال

---

(١) صحيح البخاري ، باب صفة النبي ﷺ : ٢/٤/٢٢٨ .

(٢) موطأ مالك ، كتاب الشعر ، باب إصلاح الشعر : ٢/٩٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر : ٣/٧/٢٠٦ .

(٤) سنن الترمذي ، باب ما جاء في السواك : ١/٣٤ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب السواك : ١/١/٧٠ .

حتى في الحالة التي يشعر فيها الإنسان بالفتور والتعب ، لذا أمر بالتطيب والترجل مع الصيام ، قال ﷺ : ((**إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهيناً مترجلاً**))[1]

فالعبادة لا تتنافى مع حسن المظهر ونظافته .

ورأى الإسلام أن الزينة ليست فقط من حق الرجل على المرأة ، بل هي أيضاً من حق المرأة على الرجل ، قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[2] .

قال ابن عباس في تفسير الآية : (يعني ولهن من الحقوق على أزواجهن مثل ما لأزواجهن عليهن من الواجبات ، وقوله " بالمعروف " يعني أن هذه الحقوق تؤدي بالإحسان والتواضع والإيثار لا بالتعالي والكبرياء)[3] .

ومما يدخل في معنى الآية التجمل للمرأة كما تتجمل هي للرجل ، وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال :

((إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾))[4]

ولم ير الإسلام بأساً في أن تطالب المرأة زوجها بالتزين والنظافة ، لأن ذلك حق شرعي لها ، لقول عائشة رضي الله عنها : ((**مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء ، فإني أستحييهم ، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله**))[5] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب اغتسال الصائم : ٣٩/٣/١ .   (٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ، عبد العزيز الحمدي : ١٢٨/١ .

(٤) تفسير الطبري : ٤٥٣/٢ .

(٥) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في الاستنجاء بالماء : ١/ ٣٠ ــ ٣١ .

وهكذا نرى أن كتب الحـديث الشريف والفقه قد امتلأت بحقوق الزوجة على الزوج ، ومنها أن يتزين لها كما تتزين له ، ولكن يبدو أن هذه المثاليات أصبحت سجينة في باطن الكتب الشرعية ، ولعل السبب في عدم تذكير الرجل بهذا الجانب تذكيراً مستمراً يعود إلى أن المجتمع ما زالت فيه نعرات التحزب للرجل ، فيرى أن مصارحة الرجل بهذه السلوكيات مساس لكرامته ، وربما يعود السبب أيضاً إلى أن أكثر الأقلام الناقدة هي أقلام رجل ، فكان الميل ، وكان التعصب .

آدم الاتكالي

إن مسؤولية (آدم) في الأسرة لا تقل عن مسؤولية المرأة ، فكل منهما قد هيأه الله نفسياً ، وجسمياً ، وعاطفياً ، ليتواءم مع مهمته ، ولكننا نجد (آدم) اليوم أخذ يتملص من مهمته معتذراً بكثرة أعبائه ، وأشغاله وأسفاره تاركاً قيادة الأسرة للمرأة يساعدها فريق من الخدم والسائقين .

فعليها علاوة على أعمال المنزل ، والعناية بالأطفال أن تحمل طفلها المريض إلى الطبيب ، وأن تتابع طفلها في المدرسة وذلك بالاتصال بالمدير والمدرسين ، وعليها أن تحضر مهندساً للثلاجة المعطلة ، والمكيف الذي رفض أن يعمل احتجاجاً على الفوضى الأسرية .

وعليها أن تصحب الأولاد في نهاية الأسبوع إلى الملاعب وأماكن الترفيه ، وعليها أن تذهب إلى سوق الخضروات والبقالات لجلب احتياجات المنزل على ما في ذلك من اختلاط بالرجال وتعرض للأذى والفتنة .

كما أن عليها أن تقوم بعملية التربية وتقويم السلوك .

وفوق هذا وذاك عليها أن تنخرط في سلك العمل لتساعد زوجها في مصارف البيت ، وقد بلغت اتكالية الزوج الحد الذي يسند إليها مهمة شراء ملابسه والذهاب بها إلى الخياط !!!

كل ذلك و(آدم) يتهرب من مسؤوليته محتجاً بانشغاله بالدعوة ، أو التجارة ، أو السفر ، وكل تلك أعذار واهية لا تعطيه حق التخلي عن مسؤوليته .

وهذه المشكلة ليست فردية ، وإنما هي ظاهرة اجتماعية بدأت تتفشى في المجتمع ، حتى أن أحدهم حين أخذت تشكو إليه زوجه كثرة الأعباء الملقاة على

عاتقها ، أجاب : (وراء كل رجل عظيم امرأة) .

وأضاف قائلاً : إنه ما اختارها متعلمة ... عاملة ... جريئة إلا لتكون أهلاً لتحمل مسؤوليته هو إلى جانب مسؤوليتها الأساسية .

نسي آدم أنه بكلامه هذا يعترف بفشله ، ورفع راية عجزه في إقامة الأسرة الإسلامية كما يريدها الله ورسوله .

المرأة يا آدم كائن لطيف ... رقيق ... ناعم ، وتكوينها الجسمي والنفسي لا يمكنها من القيام بكل هذه المهام .

فصاحبة الجسم الناعم الرقيق تقوم بالأعمال الجسام ، والمعضلات العظام ، وصاحب الجسم القوي المتين والشارب المفتول لا يقوى على صغار المهام وأسهلها !!!

إن عملية تكوين أسرة مسلمة حقاً ، لا يقوم إلا على التزام كل فرد بالمهام التي حددتها له مبادئ الإسلام . فالإسلام أوكل للمرأة مهاماً ومسؤوليات تتناسب مع طبيعتها الأنثوية ، والتي تمكنها من القيام بدور الأمومة بالشكل الذي يكفل للطفل حياة طيبة نقية .

هل تعلم يا آدم أن الإسلام قد كرَّم المرأة ، وأمرها أن تجلس في دارها ولا تخرج منه إلا للضرورة ، ونهاها عن الاختلاط بالرجال والتسكع في الطرقات ، وإذا أرادت المرأة الخروج لا تخرج إلا مع ذي محرم ، لأن ذلك أكرم وأشرف لعرضها وعفافها ، قال تعالى :

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[1].

وإن كان عذرك يا آدم الانشغال بالتجارة ، فأقول لك : إنَّ محمد بن

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

عبد الله ﷺ قد اشتغل بها ، ولم يُقصِّر في جانب من جوانب حياته الأخرى .

وإن كان عذرك الانشغال بالدعوة ، وتبليغ أمر الله فإن محمد بن عبد الله ﷺ قد حمل أعباء الدعوة للأمم جميعاً ، ومع ذلك كان نعم الزوج الودود الكريم الحنون ، فعن إبراهيم عن الأسود قال : ((**سألت عائشة ما كان رسول الله يصنع في أهله ؟ فقالت : كان يكون في مهنة أهله يعني ، وإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**)) .[1]

وقيل لعائشة أيضاً : ((**ما كان رسول الله ﷺ في بيته قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه**)) .[2]

وكذلك : ((**سأل رجل عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ، قالت : نعم كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته**)) .[3]

أفلا يكون لنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة ، ونتعلم منه أن الحياة الإسلامية كل لا يتجزأ إنما يترتب بعضها على بعض ، وأن العمل فيها موزع توزيعاً إلهياً يكفل لها الاستمرارية والنجاح ، وأن أدنى تقصير في أصغر جوانب من جوانبها معناه قلب واضطراب لموازينها الصحيحة . وما أجمل تصوير الأستاذ البهي الخولي لحقيقة الحياة الأسرية الإسلامية حيث يقول :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان ، باب من كان في حاجة أهله : ١٧٢/١/١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، وصححه الألباني ، انظر مسند الإمام أحمد : ٢٥٦/٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٨٠/٢ حديث رقم ٦٧٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٧٣/٤/٢ رقم ٤٨٧٢ .

(٣) أخرجه الإمام احمد في مسنده ، وصححه الألباني ، (انظر : مسند الأمام أحمد : ١٢١/٦ــ١٦٧ــ٢٦٠ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٦١/٤/٢ رقم ٤٨١٢ ، مشكاة المصابيح تحقيق الألباني : ١٦١٩/٣ رقم ٥٨٢٢ .

(وليس الزواج المطلوب لإنجاب البنين فقط ، ولا لقضاء مآرب الجنس فحسب إنما إرادة الحق سبحانه قبل ذلك أو مع ذلك ليثمر الألفة في هذه الأرض ، وينجب المودة ، ويبدع الخير والرحمة ، فإن التقاء إنسانية بإنسانية كالتقاء فكر بفكر ينجم عنه ثمار معنوية لا محالة ، فإذا كان من مهمة الإنسان في هذه الأرض أن ينجب البنين ، فأكرم مهماته أن يبدع فضائل التراحم والتواد ، والتعارف والإيثار ، والمواساة والتعاون ، وبدون هذه الفضائل ونحوها لا يكون الإنسان إنساناً ، ولا يكون المجتمع جديراً بأي نظرة من نظرات القداسة والاحترام ... إن زواج السكن المستقر هو العش الذي تتوالد فيه خصائص الإنسانية باجتماع إنسان وإنسانة لا باجتماع ذكر ولا أنثى فحسب . وإن المرء في حياة الأسرة الساكنة المستقرة ليمارس صناعة الحب حين يحمل من رعاية زوجه ومسؤوليات أولاده ما يحمل ... يصنع الحب في نفسه لهم بنسيانه نفسه ، وطرح أنانيته ، والتفكير فيهم والاهتمام بهم ، ويصنع الحب في أنفسهم أو يغرسه فيهم بما يبدي نحوهم من رعاية واهتمام وشفقة وحب)[1].

---

(١) المرأة بين البيت والمجتمع : ١٨ .

آدم والمادية

* **جـــاءتني تبكي** حرقة وألماً تشكو الجحيم الذي تعيش فيه ، لقد صدمــت في حياتها صدمة عظيمة ، فقد قرأت كثيراً عن واجبات المرأة وحقوق الرجل ، وكانت تحلم بذلك اليوم الذي تكون فيه نعم الزوجة المطيعة ، التي تسعى لكسب رضا زوجها ، وتتفانى في تربية أطفالها في جو ترفرف عليه أجنحة الرحمـــة والمودة والسكينة والاطمئنان .

ولكن بدأت المادة تطل برأسها على حياتها الهادئة الساكنة فزوجها المصون أخذ يضطرها للعمل خارج المنزل لتساعده على كماليات الحياة ، وبناء مســتقبل الأولاد المادي ، وفي نفس الوقت يرفض مساعدتها في أعمال البيت ، ورعايــة الأطفال وتدريس الأبناء ، وهو أيضاً يحب كثرة الأولاد ويقدر المــرأة الــودود الولود ، فباتت المسكينة تموت بعدد ساعات اليوم !!!

* **وأخــرى تحكي** كيف تغيرت سحنة زوجها حين رأى فـــي يدهــا أول راتب تستلمه ، وبدأت المساومة على الراتب ، والويل لها كل الويـــل إن هــي امتنعت عن دفع الضريبة الشهرية ، وذلك بحجة أنه سمح لها بـــالعمل خـــارج البيت مع أن العمل كان شرطاً عليه في عقد الزواج .

أخذ يتسلم في البداية نصف الراتب ، ثم بدأ يـــهمل فـــي طلبـــات الأولاد والمنزل ، فتضطر المسكينة إلى إكمال النقص خوفاً على بيتها من الانــــهيار ، وعلى أطفالها من التشتت .

* **وأخرى تروي** أن زوجها يفرض عليها أن تكتب الشيك باسمه فيســتلمه نهاية كل شهر ، ويضعه في خزانته من غير أن تلمس هي قرشاً واحداً منه .

* **وكثير من بنـــات حــواء** تطمئن لزوجهـــا ، وتعطيه ما تملك من مال



بغية بناء بيت زوجي سعيد ، وما إن يكتمل البناء والتجهيزات اللازمة حتى يتنكر لها زوجها ، فقد كُتب العقار باسمه ، وتبدأ المنازعات والمشادات ، وكم من قصة سمعناها عن الزوجة العاملة التي كَدَّت وتعبت ، وجمعت المال ؛ لتحقيق آمال زوجها وأسرتها في بناء عمارة أو فِلة ، وتدفعها عاطفتها المخدوعة إلى كتابة العمارة باسم زوجها ، وما هي إلا أيام حتى يكافئها بالضرة المصونة ، ثم يخيرها إما أن تقبل بالوضع الراهن ، وإما أن تخرج من الدار صفر اليدين ، ولك أن تتخيل الحرقة النفسية التي اكتوت بها **حواء** ، والآلام التي اكتسحتها فحولتها إلى مأساة متحركة ، ومن هذه القصص ما نشرته جريدة عكاظ في عددها (٨٩١٧) عام ١٤١١ هـ .

قالت حواء تعرض مشكلتها :

(لم أعد قادرة على عمل شيء أو تحريك ساكن ... ولذلك أكتب مشكلتي لجريدتكم ليطلع عليها الناس ، فربما كانت درساً وعبرة .

أنا امرأة متزوجة من أحد أقاربي ، وأعمل في سلك التدريس . بداية حياتنا الزوجية كانت جميلة وبسيطة وسعيدة ، رزقنا الله بطفلة أدخلت على حياتنا البهجة والسرور .

لا أهتم براتبي الشهري الذي أحصل عليه لقاء عملي ... والذي كنت أسلمه لزوجي كاملاً في نهاية كل شهر ، فراتبه متواضع ، وكنت أفعل ذلك من منطلق شعوري بأن مساعدتي في تغطية مصروفات البيت مهمة مشتركة ، وظللت على هذا المنوال قرابة ثلاثة أعوام ، حتى فوجئت في أحد الأيام بأن زوجي بعد أن أفاد من جمع وادخار جزء من راتبي مقبل على الزواج من امرأة أخرى !!!

وما آلمني وجعلني أحس بالخيبة ، هو أنه سيتزوجها من مرتبي وكأن مشاركتي في تحمل أعباء المصاريف وثقتي فيه أعطته دافعاً ليبتعد عني !!!

والذي يحيرني ، ويفرض علي التساؤل هو : لماذا يتزوج عليَّ وأنا الفتاة المتعلمة الجميلة حتى أن زميلاتي في المدرسة يلقبنني بحسناء المدرسة إضافة إلى إخلاصي ، وحبي له ، وعدم تقاعسي في القيام بشروط الزوجية ، وأداء الواجبات المنزلية ... ألم يكن سعيداً في حياته الزوجية معي ؟! ما الذي قصرت فيه ؟! هل تسليمي لمرتبي له كان خطأ من طرفي ، لم أعد أعرف الحقيقة ــ وهو صاحب المرتب المتواضع ــ ما إذا كان عليَّ أن أصرف مرتبي أيضاً على منزل زوجته الجديدة وما حدث صرفني عن الحياة السعيدة التي كنت أنعم بها معه ... ولم أعد أرغب في شيء سوى أن أُترك لنفسي ، ويكفيني أن أقوم بواجبات تربية طفلتي الجميلة التي رزقني الله بها .... ولكني لم أعد أعرف ما إذا كانت حتى هذه الأمنية سيكون بإمكاني الحفاظ بها ... وهل بإمكاني في ظل الظروف الجديدة أن أستقل براتبي لصرفه على نفسي بصراحة تامة فإنني بسبب الغدر والخداع وسوء الاستغلال ... أصبحت لا أثق سوى بإكمال مسيرتي لوحدي ، فهل يمكنني ذلك ... بل هل أستطيع) .[1]

وهذه جهالة كبرى من **حواء** ، لأن من سماحة الإسلام وكرمه أن جعل للمرأة حرية التصرف في مالها ، وفي تجارتها ، والرجل الحر الكريم هو الذي يعتمد في تكوين الأسرة وبنائها على ماله الخاص لا أن يسطو على جيب زوجه .

والرجل الحر الكريم إن احتاج قرضاً من زوجه ، أو دخل معها في عمل

---

(١) جريدة عكاظ ــ العدد ٨٩١٧ ، الاثنين ٢٠ جمادي الأولى ١٤١١ هـ .

مشتـــرك كشـــراء أرض ، أو بنـــاء دار عليه أن يكتب لـــها حقوقـــها كاملـــة ويصدقهـــا بشهود عدول ليحفظ لها حقوقها من الضياع .

وهذا الرأي ستمجه نفوس كثير من الرجـــال ، وستثور كرامتهم وترفضـــه كبرياؤهم ، ولكنني أقول لكل مستنكر : تمهل قليلاً يا أخي واخلـــع عنـــك رداء الحماقة والكبريـــاء الزائفـــة التي يؤججها الشيطان في نفســـك ليوقعـــك فـــي المزالق ، ويوردك المهالك ، فكر مليـــاً وجدياً في الأمر ، فهو أطهر لدينـــك ، وأبرأ لذمتك ، وأحفظ لماء وجهك .

آدم مع أصدقائه

حـواء تتساءل ... لماذا يترك آدم جنته الجميلة الوارفة الظلال ، لقـد تعبت حـواء كثيراً في غرس رياحينها وزنبقها ، لا تقولوا إن حـواء هـي التي أجبرته على هجر المـنزل بارتكابها الحماقات والتفاهات ، ولم تهيء لـه جواً لطيفاً يجد فيه الراحة والاطمئنان ، فاضطر إلى اللجـوء إلـى منتجعـات الأصدقاء.

أنا هنا أتحدث عن حـواء المتفانية في خدمة آدمها ، الحريصة علـى كسب حبه ومودته ، ولكنه مشغول عنها بأصدقائه سواء أصدقـاء السـوء ، أم أصدقـاء الخير .

على آدم أن يتذكر أن لبيته عليه حقـاً ، وأن لزوجه عليـه حقـاً ، وأن لنفسه عليه حقـاً ، وأن لنفسه عليه حقاً ، وأن عليه أن يـؤدي لكـل ذي حـق حقـه ، فهذا هو ديدن الرسول ﷺ .

أخرج البخـاري في صحيحـه عن أبي جحيفـة عن أبيه قال : « **آخـى النبي ﷺ بين سلمان ، وأبي الدرداء ، فزار سلمـان أبـا الـدرداء فـرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخـوك أبو الدرداء ليس له حاجـة في الدنيا ، فجـاء أبو الدرداء فصنع له طعامـاً ، فقال : كُل ، قـال : فـإني صائم ، قال ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليـل ذهـب أبـو الدرداء يقـوم ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلمَّا كـان مـن آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فَصلَّيَا ، فقـال له سلمان : إن لربك عليـك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتـى**

النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ صدق سلمان)) .[1]

فهذا أبو الدرداء قد انصرف عن بيته لانشغاله بالعبادة ، وليس بأصدقائه ، فانصرفت زوجته عنه ، وأهملت نفسها وتبذلت ، وبدأت أصوات الخطر ترتفع منذرة بانهيار البيت المسلم .

ولكن نرى التربية المحمدية تظهر في جواب سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث دل أخاه على الطريقة الإسلامية الصحيحة التي يجب أن يتبعها كل فرد مسلم يؤمن بأن محمداً هو الرسول المربي ألا وهي تنظيم الوقت ، وتوزيع العمل بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر .

وحواء أخرى تشتكي من سوء خلق زوجها معها ، وسوء معاملته لها بينما تراه مع أصدقائه على أرفع خلق ، وأسمى معاملة ، تراه يلاطف أصدقاءه ، ويمازحهم ويضاحكهم ، ويتباحث معهم ويناقشهم ، أما هي فيعتبرها قطعة أثاث كمالية في المنزل ، لا تفقه شيئاً في أمور الدين أو الدنيا ، وليس لها حق سوى التحدث مع بقية الأثاث ، وحجته أن الرسول ﷺ قال : ((**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**)) .[2]

حواء تقول لك يا آدم :

إن الرسول ﷺ حين ذكر في حديثه أن النساء ناقصات عقل ودين لم يقصد بذلك إهانة **حواء** ، وتحقيرها ، إنما أراد تكريمها بتنبيه آدم إلى بعض خصائص الأنوثة ليلتمس لها الأعذار إن هي هفت يوماً أو أخطأت . لقد غفل آدم عن أن **حواء** كائن حي أكثر ما تحركه المشاعر والأحاسيس ، فتراه

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع : ٤٩/٣/١ ــ ٥٠ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم : ٨٣/١/١ .

دائماً عابس الوجه ، قاطب الجبين ، محمر العينين وكأنه يريد أن يثبت **لحواء** أنه (الأسد في عرينه) أما الابتسامة أو الضحكة ، فهي أمر محرم على وجوه الرجال ، لعل القصد من هذا إسكان الرعب في قلب **حواء** ، فتهرع إلى الانضواء تحت طاعته العمياء .

ولقد اشتكت إحداهن من صلف زوجها وجفائه ، فأحبت أن تذكره بأخلاق المصطفى ﷺ ، وسيرته مع نسائه ، ومداعبته لهن فقصت عليه حديث عائشة رضي الله عنها وتسابقها مع الرسول ﷺ حيث قالت رضي الله عنها :

((**خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته ، فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس تقدموا فتقدموا ، ثم قال تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك**))(١) .

أتدري ما كان جواب **آدمنا** بعد أن سمع القصة كاملة ، وتكبل بالحجة الدمغة ، لقد أجاب قائلاً بكل سذاجة وعدم وعي : سآخذك يوما للبر وأتسابق معك ، وبذلك أكون قد طبقت كلام الرسول ﷺ ، وإياك أن تعيدي على مسمعي هذا الحديث مرة أخرى .

هذا جواب **آدم** لزوجه ، مع أنك لو نظرت إليه مع أصدقائه لرأيته أسبقهم في الرحلات ، وأكثرهم لعباً ومزاحاً وفكاهة .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (واللفظ له) وأبو داود والنسائي وابن ماجة ، وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢٦٤/٦. سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب السبق : ٢٩/٣ـ٣٠ رقم الحديث : ٢٥٧٨، صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ ، إرواء الغليل :٣٢٧/٥ ـ ٣٢٨ .

حـــواء يا آدم تدلك بأمانة على أقصر طريق إلى قلبها ، وأقصر طريق لضمان محبتها وطاعتها ، فتقول :

عليك بالكلمة الطيبة ، والابتسامة الرقيقة ، والمعاملة الحسنة .

أما طريقتك العقيمة القائمة على (الكشرة والنفرة) ، فلن تجني من ورائها إلا طاعة زائفة ، غلافها الخوف والرعب ، وباطنها الكره والبغض .

وليس لدى حـــواء أوعظ عبرة تهـديك إياها سوى قوله ﷺ :

((**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائه**)) .[1]

وقوله أيضاً : ((**خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي**)) .[2]

وتذكرك حـــواء .. بأن الرسول ﷺ كان كثير التبسم ، فعن عبد الله بن الحارث بن حزم قال : ((**ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ**)) .[3]

وهو الذي أمر كل مسلم بالتبسم في وجه أخيه ، وجعل لهذا التبسم أجراً وثواباً لما يبعثه في النفس من الألفة والمحبة ، ولما يخلق من التقارب النفسي والعاطفي بين الناس ، فقال ﷺ :

((**تبسمك في وجه أخيك صدقة**)) .[4]

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ رقم ١٦٠٩ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، باب حسن معاشرة النساء : ٣٣٤/١ رقم ١٦٠٨ . وانظر : موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، كتاب النكاح ٣١٨ رقم ١٣١٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حديث غريب : انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب بشاشة النبي ﷺ : ٦٠١/٥ رقم الحديث ٣٦٤١ .

(٤) أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب ، انظر سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، با ب ما جاء في صنائع المعروف : ٣٣٩/٤ رقم ١٩٥٦ . ورواه مسلم وابن حبان بلفظ آخر (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) انظر : صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء : ٢٠٢٦/٤ رقم ٢٦٢٦ صحيح ابن حبان : ٤٥١/١ .

وقد كان ﷺ أفكه الناس مع نسائه ، لأن شفافية نفسه التي تدل على صدق نبوته أرشدته إلى طرق كسب قلب المرأة ، وامتلاك ناصية عاطفتها ، وما تجاهل عاطفة المرأة إلا سفيه أحمق ، لأن تجاهل عاطفتها تجاهل لمطالب الأمة الكبرى ، فالمرأة المستقرة عاطفياً ينعكس استقرارها على بيتها وأسرتها ، وبالتالي ينعكس استقرار الأسرة على المجتمع والأمة بأسرها .

آدم وتعليم حواء

عجباً لآدم القرن الخامس عشر ، لماذا يرفض حواء المتعلمة ؟!

لماذا يرفض أن تسابقه في ميادين العلم المشروعة لها في الإسلام ؟!

لماذا يرفض قبول أمر من أمور الإسلام الحنيف ؟! لماذا يتجاهل قول المصطفى ﷺ : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)) .[1]

ولفظ (مسلم) يثبت لها أحقية العلم بداهة تحت قاعدة : ((**النساء شقائق الرجال في الأحكام**)) ![2]

لقد ظهر الكثير ممن ينادي بالحد من تعليم المرأة ، وقصر تعليمها على شؤون البيت والمنزل محتجين بالحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء والحث على العلم : ٤٤/١ رقم الحديث ١٨٣ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الطهارة باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً : ٧٥/١ والنص هناك : (عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يجد احتلاماً قال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللاً ، قال : لا غسل عليه ، قالت أم سلمة : يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل ؟ قال : نعم إن النساء شقائق الرجال) . الحديث رواه أحمد في مسنده : ٢٥٦/٦ عن حماد بن خالد ورواه أبو داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرجل بلة في منامه عن قتيبة بن سعيد بن حماد بن خالد ولفظهما في آخره : (وإنما النساء شقائق الرجال) ورواه الدارمي :١/ ١٩٥ ــ ١٩٦ عن يحيى بن موسى عن عبد الرازق عن عبد الله العمري مختصراً ، ورواه ابن ماجة : ١١٠/١ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حماد بن خالد مختصراً أيضاً . وقال الترمذي : وإنما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر بن عبيد الله بن عمر حديث عائشة في الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً ، وعبد الله (بن عمر) ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث ، قال محقق سنن الترمذي القاضي أحمد محمد شاكر : وإسناد الدارمي : إسناد صحيح رجاله ثقات إلا شيخه محمد بن كثير فهو الثقفي الصنعاني الدمشقي ضعفه أحمد وغيره ووثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما وهذا الإسناد يقوي رواية أحمد التي لم يذكر فيها أنس : وبهما يكون الحديث صحيحاً ثابتاً عن أم سلمة ، ويكون شاهداً قوياً لحديث عائشة من رواية العمري ، انظر سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر : ١٩٠/١ــ١٩٢ .

أنها قالت : ((**قال رسول الله ﷺ لا تسكنوهن الغرف ، ولا تعلموهـن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور**))[1] .

وللرد على هـؤلاء نقول :

إن أدلة تعليم **حـواء** الكتابة كثيرة في السنة النبوية المطـهرة ورواتـها ثقات ، ومن ذلك الحديث الذي روته الشفاء بنت عبد الله قالت : ((**دخـل علـيَّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة**[2] **كمـا علمتيـها الكتابة**))[3].

---

(١) لقد خرَّج هذا الحديث الشيخ محمد بن عبد الرحيم الصديقي في كتابه (سلافة الأديـب) ص ١٢٢ ــ١٢٣ فقال : (إن في سنده هذه الرواية محمد بن إبراهيم الشامي وهو منكر الحديث ومـن الوضـاعين ، قـال الحافظ شمس الدين الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال قال الدار قطني كذاب وقال ابن عـدي عامة أحاديثه غير محفوظة وقال ابن حبان لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار وروى عن شعيب بـن إسحاق عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً (ولا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابـة وعلموهـن المغزل وسورة النور) . قال ابن الجوزي رحمه الله في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية هذا الحديـث فيه محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث . وقال الحافظ بن حجر في التقريب محمد بن إبراهيم بـن علاء الدمشقي أبو عبد الله الزاهد منكر الحديث ، وقال العلامة صفي الدين الخزرجي في خلاصة التـهذيب ص ٣٧٦ (الخيرية) محمد بن إبراهيم الدمشقي كذَّبه أبو نعيم والدار قطني ووثقه أبو حاتم والنسائي ففيـه كلام لأن مؤلفي كتب الرجال لم ينقلوا توثيق أبي حاتم والنسائي بل نقل ابن حجر فـي تـهذيب التـهذيب والحافظ الذهبي (في الكاشف) و (ميزان الاعتدال) أقوال الجرح فقط ، ولم يذكر توثيق النسائي وأبـي حاتم فلذلك والله أعلم هذا من أوهام العلامة الخزرجي حيث وقع منه السهو في كتابه في عدة أمكنة أخـرى ، وإن ثبت توثيق النسائي ، وأبي حاتم ، فلا يعارض توثيقهما جرح الحفاظ الآخرين أمثال الـدار قطنـي وابن حبان وابن عدي وأبي نعيم ، لأن هذا الجرح مفسر ومبين ، والجرح المفسر مقدم على التعديل كمـا قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته ص٥٢ طبعة بومباي ، وكما هو عند جمهور المحدثين إذا اجتمع فـي شخص جرح وتعديل فالجرح مقدم لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله والجارح يجيز عن بـاطن خفـي على المعدل فلولا خشية الإطالة لأشبعت بحثاً وتحقيقاً . أ.هـ المؤلف) .

(٢) النملة : قرح يخرج من الجنب .

(٣) أخرجه الإمام في مسنده عن الشفاء ، وصححه الألباني ، انظر مسند الإمـام أحمـد : ٣٧٢/٦ ، صحيـح الجامع الصغير :٣٧٢/٢/١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٢٩/١/١ رقم ١٧٨ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

((في الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة)) .[1]

وأريد أن أشير إلى أن المقصود من تعليم المرأة هو تعليمها ما فيه خيرها وخير أسرتها وخير أمتها ، وهذا الأمر يحتاج انقلاباً شاملاً في سياسة التعليم في الدول الإسلامية جميعها ، فما تحتاجه الفتاة غير ما يحتاجه الفتى فالمرأة بحاجة إلى تعلم أمور دينها ، وكل ما يتعلق بتربية أبنائها ، وما يتعلق بأمور منزلها .

وهي بحاجة إلى اكتساب الخبرات التي تقتل بها وقت فراغها مثل تعلم الأشغال اليدوية وتنسيق الزهور ، وفن الديكور المنزلي .

كما يجب توعيتها بكل ما يدور حولها من مكائد ، ومخططات معادية لها ، ولأمتها ، فلا بد أن تكون على إلمام واع بكل المذاهب الهدامة .

ومن العلوم النافعة التي يجب أن تدرسها الفتاة مبادئ الطب والإسعافات الأولية ، ولا ضير في قراءتها التاريخ ، والأدب ، والشعر الإسلامي .

ولقد احتارت حواء في فكر آدم المتقلب ، فقبل عشرين عاماً تقريباً عزف آدم عن الزواج من حواء بلده ، رامياً إياها بالجهل ، وعدم القدرة على مواكبة الحضارة ، فسارعت حواء إلى مناهل العلم تعب منها عبّاً علَّها ترضي آدم ، وحين رآها اليوم بصورتها الجديدة ، وقد قاربت فكره ، وأخذت تناقشه في كثير من الأمور وأساليب الحياة أحس أن شوكتها قد قويت ، وفزع من هذا التغيير ، وشعر أنها ستفر من قبضته ، وفقد الثقة بقدرته على التعامل معها ، فرفع راية الرفض لها والتهجم عليها .

---

(١) زاد المعاد : ٤/١٨٥ .

وغفل آدم عن أسهل سلاح يشهره في وجه المرأة ، ويعيدها إلى حظائر طاعته طائعة مختارة ، نسي أن قوتها في ضعفها ، وضعفها يتمثل في رهافة حسها وعاطفتها .

إذاً السبب في رفض آدم لتعليم حواء هو خوفه من أن تتفوق عليه ، وهذا بالفعل ما يدلي به المنصفون من رؤساء التعليم حيث يذكرون أن نسبة الطالبات المتفوقات أعلى من نسبة الطلبة المتفوقين .

إن آدم يتخوف من الاقتران بحواء المتعلمة ، وهذا الأمر قد لمسناه ورأيناه على صفحات الجرائد والمجلات التي كانت تستطلع آراء الشباب في الفتاة الجامعية ، فقد نعتوها بالكبرياء ، والتعنت ، والجموح وحب السيطرة ظناً منهم أن هذه الصفات اكتسبتها من تعليمها ، وهذا لعمري خطأ واضح ، ووهم صريح ، فهذه الأخلاقيات تعود أصلاً إلى البيئة التي نشأت فيها الفتاة ، فقد تكون الفتاة جاهلة غير متعلمة ، ولكن البيئة التي تعيش فيها أساءت تربيتها ، فتنغرس فيها الرذيلة وتصبح طبعاً من طباعها ، فليس من المعقول أن تكون الفتاة قد تربت أصلاً على الأخلاق الفاضلة ، وعلى الدين والطاعة طوال سنين دراستها الثانوية ، وبمجرد أن تدلف برأسها باب الجامعة تخرج الأخلاق من الباب الآخر .

فأخلاق الفتاة تعود إلى أصل تربيتها في الصغر وإلى طبيعة البيئة التي تعيش فيها ، فإذا هناك جموح في أخلاقها فإن العيب لا يعود إلى درجة تعليمها ، بل يعود إلى خلل في أصل التربية .

لقد عايشت كثيراً من الفتيات المتعلمات الواعيات ، فلم أجد فيهن هذه الصفات التي صورها الشباب ، وكأنها ظاهرة تعم كل من تحمل لقب جامعية .

فعلى آدم .. أن يراجع ثقته بنفسه ، ويغير مساره الفكري ، ويتجرد من أهوائه وذاتيته ، فإنه إن فعل ذلك سيرى أمامه **حواء** جديدة وسيعض أنامله ندماً على الحقبة التي قضاها في ذلك التفكير المظلم ، ففاته الكثير من خير **حواء** الجديدة .

آدم القبلي وحواء

على الرغم من تهذيب الإسلام لكثير من العادات والتقاليد ، وقتله لكثير من العصبيات ، وجعله مقياس التفاضل بين الناس هو الدين والتقوى ، قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[1]، ولا فرق بين عربـــي ولا عجمـــي إلا بالتقوى ، فإننا نجد في مجتمعنا ظاهرة تأبى أن ترعوي وتلين لحكم الإســـلام ، ظاهرة ما زال يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد .

فقد نرى (آدم) ملتزماً بكثير من أمور الدين ، ولكنه عند هذا الأمر وعلـــى الرغم من سهولته ، يرفض عتق فكره منه ، فنراه يشترط في زوجه أن تكـــون قبلية ، وكذلك يشترط في زوج أخته أو ابنته أن يكون قبلياً وإن كان مفلساً مـــن الأخلاق والدين ، فالمقياس المأخوذ به هو أن يكون موازياً لها في قبيلتها ، فكـم من فتاة رفض أهلها تزويجها من صاحب الدين والخلق وزوجوها رغماً عنـــها بأي شاب يتقدم إليها من قبيلتها مهما كانت فيه من خسيسة .

فتلك الفتـــاة قد تقدم إليها شاب حسن السيرة والسريرة يثني عليه كل مـــن سمع به ، وهو من قبيلـــة (كذا) ويحمل مؤهلاً تعليمياً عالياً ، وفرحت الفتـــاة فليس لأهلها الآن عذر في رفض هذا الفتى ، ولكنها صدمت حين علمت رفـض الأهل القاطع له ، والسبب أن جده كان من أصحاب الحرف !!!

ما بال القـــوم .. قد نسوا أن أشرف الخـــلق محمد بن عبد الله قـــد كـــان راعياً للغنم ، ثم أجيراً عند امرأة هي خديجة بنت خويلد قائماً علــــى تجارتـــها ومشرفاً عليها ، ولم يزده عمله هذا إلا شرفاً وعزة ومنعة ، وهذا شأن كثير من

---

(١) الحجرات :١٣ .

الأنبيـــاء والرسل ، فكان منهم النجـــار والحـــداد والخياط ، وقد قال عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه : يذكر لي الرجل فأسأل أله حـــرفة ؟ فيقولـــون : لا ، فيسقط من عيني .

إن النتيجة الطبيعية لهذا التفكير المعوَّج هو بقاء الكثيرات من غـــير زواج مرغمات لا راغبات .

ولا تجرؤ **حـــواء** المسكينة أن تصرخ بإلقـــاء هـــذه الشـــروط الوهميـــة الفاسدة ، بل تستسلم للأمر في يأس ومرارة ، وتظل طيلة حياتـــــها تجـــر ألـــم العصبيات البالية .

إن إسلامنا الحنيف قد وضع للكفاءة مقياساً يكفل للحياة الزوجيـــة النجـــاح والاستمرار ، فالكفاءة المعتبرة في الإسلام هي الكفاءة في الدين والخلق ، قـــال ابن القيم : (فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمـــــالاً ، فلا تزوج مسلمـــة بكافر ، ولا عفيفة بفاجر ، ولم يعتبر القـــرآن والســـنة فـــي الكفاءة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الـــزاني الخبيـــث ، ولـــم يعتبر نسباً ولا صناعة ، ولا غنى ولا حرية ، فجوَّز للعبد القن نكـــاح الحـــرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً ، وجوَّز لغير القرشيين نكـــاح القرشـــيات ، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات ، وللفقراء نكاح الموسرات)[1].

ويستند كلام ابن القيم على قوله تعالى : **﴿ يا أيـها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾**[2].

وقوله عز وجل : **﴿ والمـؤمنون والمـؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾**[3].

---

(١) زاد المعاد : ١٥٩/٥ . (٢) الحجرات : ١٣. (٣) التوبة : ٧١ .

وقوله ﷺ : ((**لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجـمي على عربـــي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، النـــاس مــن آدم وآدم من تراب**)) [1]

وقال ﷺ : ((**إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، إن أوليـــائي المتقــون حيث كانوا وأين كانوا**)). [2]

وقال ﷺ : ((**إذا جــاءكم من ترضون دينه وخــلقه فانكحـــوه . ثــلاث مرات**)) ! [3]

ومن سننـــه ﷺ أنه زوج زينب بنت جحش القرشية من زيد بـــن حارثـــة مولاه ، وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من أســـامة ابنه وتزوج بـــلال ابن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف [4] قـــال تعالى : ﴿ **والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾. [5]

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وذكر محققا زاد المعاد شعيب وعبد القادر الأرناؤوط أن إسناده صحيح ، انظر : مسند الإمام أحمد : ٤١١/٥ ، وزاد المعاد :١٥٨/٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قبل الرحم ببلاها : ٣٥١/١٠ـ٣٥٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه : ٣٨٦/٣ ، رقم الحديث : ١٠٨٥ .

(٤) زاد المعاد : ١٥٩/٥ .

(٥) النور : ٢٦ .

آدم الطعان اللعان

رأيتها وقد انتفخت أوداجها ، واسودت جفونها ، فكونت هالة حول عينيها يظنها الرائي لأول وهلة نظارات شمسية سوداء .

اقتربت منها ، والألم يعتصرني ، وفي اعتقادي أن حادثاً أليماً قد حل بها فهنأتها على سلامتها ، وأخذت أستفسر عن تفاصيل الحادث المؤلم ، فبكت بكاءً مرّاً ، فقلت لا بد أنها فقدت عزيزاً في هذا الحادث وقرعت نفسي لوماً ، لأنني فتحت لها جراحاً ربما تكون أخذت في الاندمال ، ولكنها صرَّحت لي بأن ما أصابها إنما هو من زوجها المصون الذي أنقضَّ عليها كوحش كاسر رأى فريسته بعد طول جوع .

كذبت سمعي فألححت عليها أن تعيد العبارة مرة أخرى فأعادتها بصوت منكسر مكسو بالمرارة ، فقلت في نفسي لا بد أنها قد اقترفت جرماً عظيماً لا يغتفر أفقد زوجها المسكين صوابه ، وخاصة أن زوجها معروف بين الناس ، بحسن معاملته للآخرين .

وجاءني صوتها يحكي لي مأساة تعيشها **حواء** في كثير من البلاد ، فذكرت لي أن هذه ليست هي أول مرة تمتد إليها يد زوجها وإنما هي حلقة من سلسلة طويلة من الضرب والشتائم تنصب عليها لأتفه الأسباب ، وهو لا يتورع عن ضربها ، وركلها ، وشتمها بلاذع الكلام أمام أطفالها ، بل وأمام الخادمة حتى أن الخادمة تقوم أحياناً بالتدخل لفض النزاع !!!

وأنا هنا يا آدم أذكرك بقول المصطفى ﷺ : ((**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها في آخر اليوم**)) .[1]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من ضرب النساء : ٤٢/١ .



وفي صحيح مسلم : ((**لا يفرك**[1] **مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**))[2] .

ولقد كان الرسول ﷺ يعظ ويطبق ما يقول : فروي أنه ((**لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**))[3] .

ولم تمتد يد الرسول الطاهرة قط على إنسان مهما كانت منزلته فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، لا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل**))[4] .

وضرب المرأة في الإسلام لم يسمح به إلا في الضرورة القصوى بعد أن يستنفذ (ادم) الحليم كل الوسائل في تقويم زوجه وردها إلى صوابها ، وأن يكون الخطأ الذي ارتكبته خطأ عظيماً فادحاً .

وقد وضع الإسلام للضرب كيفية معينة ، ووضع له شروطاً منها :

ألا يكون مبرحاً ، وألا يكون على الوجه[5] ، لأن الضرب على الوجه فيه

---

(١) يفرك : يبغض .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء :١٠٩١/٢ رقم ١٤٦٩ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٢٩/٢ .

(٣) صحيح البخاري ، باب صفة النبي ﷺ : ٢٣٠/٤/٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام :٨٤/١٥ .

(٥) أي لا يسيل دماً ولا يكسر عظماً ولا يزيد على عشر عصي خفيفة بعصي مثل السواك طولها ذراع على أكثر تقدير ، ولقد قال بعض الفقهاء ، إن المملوك إذا ضرب على وجهه كان ذلك سبباً في عتقه أخذاً بحديث أبي مسعود البدري عند مسلم وغيره وحديث ابن عمر عند مسلم وأبي داود ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه ، كما دلت الأحاديث على أن المثلة من أسباب العتق ، وللفقهاء تفصيل ليس محله هنا ومن رام مزيد بيان فليرجع إلى كتب الفقه ، هذا والأمر في حق المملوك ، فما بالنا إن وقع الضرب على إنسانة حرة هي زوجه وأم أولاده .

إهـــانة ، والإسلام ما قصد إهـــانة **حــواء** وتعذيبها ، وإنمـــا قصـــد تأديبـــها وتذكيرها بطريق الحق والصواب .

ولا بد أن تتم عملية التـــأديب هـــذه بعيداً عن الأطفال والخادمات حتى لا تسقط هيبة الأم من عيون أطفالها ، بل حتى لا تتكسر قلوبهم الصغيرة وتتعذب.

ولا يغيب عن لب عاقل أن الخلافات بين الأبوين أمام الأطفال لها آثارهـــا الوخيمة على نفسية الطفل وعلى حياته في المستقبل .

عليك يا آدم .. يا من تتبخـــتر في ثوب الحضارة ، وتنادي بالرقـــــي ، وأنت **يا آدم** يا من تتلهف إلى الجلوس مع الوعَّاظ ، وتتشدق بألفاظهم أن تعيد النظر والتفكير في طريقة فهمك للإسلام ، لأنك بسلوكك الشائن هذا تسيء إلـــى إسلامنا السمح ، إسلامنا الذي يتعالى على جميـــع الأديـــان ، ويســـمو عليـــها لمناصرته وتكريمه للمرأة .

عليك أن تعتزم الانتقال بصدق من الميدان النظري للإسلام إلـــى الميـــدان التطبيقي الصحيح .

وحــواء تنصحك يا أخي ... بأنه إذا نشب بينك وبين زوجك خـــــلاف أن تلجأ إلى الحكمة والأناة ، وتعتصم بالصبر .

وفي هذا الموقف حق لك أن تتذكر قوله ﷺ : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلـــع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعـــلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لـــم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً**))(١)

ففي الخـــلافات يظهر عوج المرأة ، وعوجها المقصود به سرعة غضبها ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاية بالنساء :٣٤/١ .

وعدم مقدرتها على تحمل النزاع .

وعليك يا آدم الحكيم ... أن تقضي على الخلاف بأسرع وقت وأسهل وسيلة ، لا أن توقد ناره لأتفه الأسباب ، فذاك آدم مستعد لأن يفتح باب الخلاف على مصراعيه لمجرد مراجعة زوجه له في الكلام ومخالفته الرأي .

أقول لك يا آدم ... إن أمهات المؤمنين كن يراجعن سيد الخلق محمد بن عبد الله في الكلام .

ومن ذاك ما رواه عمر بن الخطاب حيث قال :

« كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب بالنزول على النبي ﷺ ، فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنَّا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار ، فصَخِبْتُ على امرأتي ، فراجعتني ، فأنكرتُ أن تراجعني ، قالت : ولم تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت عليَّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة ، فقلت لها أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ، فقلت : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي ، لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك ، ولا يَغُرَّنَّكِ إن كانت جارتك أوضأ منك ، وأحب إلى النبي ﷺ ــ يريد عائشة ــ » [(1)]

---

(1) البخاري ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها : ١/٣٦ ــ ٣٧ .

آدم وحواء المطلقة

إن النظرات المجحفة التي يرشق بها المجتمع حواء المطلقة إنما هي في حقيقتها وأد للمرأة كوأد الجاهلية الأولى ، ونظرة آدم لحواء المطلقة إنما هي وليدة المجتمع غير الواعي ، فالمجتمع قد صوَّر له المرأة المطلقة سيئة الخلق والدين ، لا تراعي حق العشرة ، ولا تعرف قيمة الزواج ، وتجهل كثيراً من حقوقه وواجباته ، وإلا لما طلقها زوجها ، وما خرجت من بيتها ، فحتى آدم المطلق إذا ما طلب الزواج مرة أخرى ، فإنه يرفض حواء المطلقة ، وبذلك يقل طلابها ، وتدفن في جوانب بيت أهلها تجر آلام الظلم الاجتماعي .

وهذه النظرة أدت إلى ذل المرأة ، فرضيت أن تعيش مع زوج جبار ظالم لا يرحم ، كل ذلك خوفاً من كابوس كلمة (مطلقة) .

إحدى بنات حواء كانت تبكي ليلها ونهارها ، لأنها طلقت مرتين ، وهمها في ذلك ماذا يقول المجتمع ؟؟ مع أنها كانت مظلومة في كلا المرتين ، الأول ذاقت معه الذل والهوان ومرارة العيش تسع سنوات تقريباً مع وجود عيب شرعي فيه ، ولكنها آثرت السكوت حتى لا يقال عنها مطلقة . والثاني كاذب مماطل لا يراعي حق العشرة .

أختاه ...

إن الطلاق وإن يكن أبغض الحلال إلى الله إنما هو رحمة مهداة من الله إلى المرأة ، لتفك به أسرها من براثن زوج لا يخاف الله ، ولا يخشاه .

إن الإسلام حين شرع الزواج قصد منه تكوين الأسرة المسلمة التي قوامها السكينة والطمأنينة ، والمودة والرحمة .

قـــال تعـــالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون** ﴾[1].

فإذا فقدت السكينة والطمأنينة ، وانتفت المعاشرة الطيبة الحسنة فإن الإسلام أعطى للمرأة سلاحاً تأمن به حقها ، قال تعـــالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾[2].

فالأسرة المسلمة التي تبني على أعمدة غير ثابتة ، فإنها آيلة للسقوط علـــى من فيها .

والإسلام إنما هدف من الزواج تكوين الأسرة المسلمة التـــي تســـاعد فـــي استمرارية النوع الإنساني الذي ينشر الإيمان والإسلام على مر العصور .

أما الأسرة التي تفتقد الأمان ، والاستقرار ، فإنها تخرج لنـــا المجرميـــن واللصوص والسفاحين ، فتشقى بهم الأمة ، ويكونون سبباً فـــي فنـــاء النـــوع الإنساني .

أما عن نظـــرة آدم للمرأة المطلقـــة ، وانصرافه عنها محتجاً بقوله ﷺ : ((**هلا جارية تلاعبها وتلاعبك**))[3].

إنما هو جهل منه ، لأن الرسول ﷺ لم يقصد بهذا الحديـــث النـــهي عـــن الاقتران بحواء المطلقة ، ولا الحث على الزواج بالبكر فـــي كـــل زيجـــة يكررها آدم ، فالرسول ﷺ تزوج تسع نساء كانت إحداهن بكراً فقط ، وهـــي السيدة عائشة رضي الله عنها ، والثماني الباقيات كن ثيبات ، حتى أن باكـــورة

---

(١) الروم : ٢١ . (٢) البقرة : ٢٢٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الثيبات :٦/٧/٣ .

زواجه وهي السيدة خديجة بنت خويلد كانت ثيباً .

وهذا العمل منه ﷺ دليل على أن المرأة الثيب امرأة لها كيانها وشخصيتها ، وليست امرأة منبوذة على المجتمع أن يلفظها ويتبرأ منها .

فكثير من حالات الطلاق يكون سببها الرجل لفشله في تطبيق حق القوامة تطبيقاً إسلامياً حقاً ، ولكن نظرة المجتمع للرجل المطلق تلك النظرة المتفائلة ساعدته على استئناف حياته ، واستمراريتها بأمان واطمئنان .

ولكن أقول لحواء المطلقة :

إياك والتقوقع داخل نفسية مظلمة قلقة ، بل كوني قوية رابطة الجأش ، قوية العزيمة ، شديدة التفاؤل ، راغبة في إصرار وإلحاح في تكوين أسرة إسلامية جديدة ، ولا تقفي مكتوفة اليدين داخل أول حفرة تقعين فيها ، بل حاولي في عزم أن تخرجي منها لتواصلي المسير في هذه الحياة ، ولتكن قدوتك سيرة الصحابيات ، فلم يكن تكرار الزواج في عرفهن عيباً أو مشكلة تعاقب الواحدة نفسها عليها ، فكانت الواحدة منهن إذا مات عنها زوجها أو طلقت تزوجت بآخر ، ومن أولئك : أسماء بنت عميس الخثعمية زوج جعفر بن أبي طالب وأم ابنه عبد لله ، وقد تزوجت من بعد جعفر أبا بكر الصديق ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها الإمام علي بن أبي طالب فولدت له يحيى رضي الله عنهم أجمعين[1].

وهذه سكينة بنت الحسين تزوجها ابن عمها عبد الله بن الحسن الأكبر ، فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ،ثم تزوجت مصعب أمير العراق ثم تزوجت بغير واحد[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء :٢/٢٨٢ ــ ٢٨٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء :٥/٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

ومنهن عائشة بنت طلحة بنت أخت أم المؤمنين عائشة ، أم كلثوم بنتي الصديق رضي الله عنهم ، تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن ، ثم بعده أمير العراق مصعب ، ولما قتل مصعب تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي [1].

ومن أمثال هؤلاء كثيرات .

فعلى مجتمعاتنا اليوم أنت تصحح نظرتها الظالمة إلى المرأة المطلقة في ضوء الإسلام ، وأن تنفض عن فكرها ما علق بها من غبار الجاهلية الأولى .

وعلى جميع المؤسسات الاجتماعية والإعلامية ، وعلى علماء الدين والعلم والفكر أن يجنِّدوا أقلامهم لإعادة حقوق المرأة التي أخذ ينتهكها آدم غير عابئ بالقانون الإسلامي للمرأة .

وعليها أيضاً أن تنصح آدم وتعظه ، وتنبهه على الدوام إلى حقوق حواء عليه .

---

(١) المرجع السابق :٣٦٩/٤ .

آدم والبخل

قـالت لي محدثتي : إن زوجي يملك الكثـير من العقـارات ، والمحـال التجارية ، فحقيقتـنا أننا من الأغنياء ، وظاهرنا يحتاج إلى الصدقة ، ويدعـو إلى الرثاء .

قـلت لها : لعلك ترهقين زوجك بالطلبات ، وما هذا منك إلا كُفر للعشير .

قـالت : لقد شـاب قلبي ، وضعفت روحي أمام بخل زوجي ، فما عـدت أجد رغبة في طلب الأساسيات التي يحتاجها المنزل .

ابني طالب في الجـامعة يذهب إليها بالنقل الجماعي مع أن بمقدور والـده أن يشتري له أفخـم السيارات وأجملها ، وابنتي عروس فـي عمـر الزهـور تتوارى عن الأنظار خجلاً من ملبسها الخلق ، ومظهرها الرث .

ومسكني لو دخلته موظفة الجمعية الخيرية لأسرعت بتقرير معونة شـهرية مستديمة لنا .

عيون الناس تنظر إلينا في شفقة ، ولوم ، واستهزاء .

قـلت لها : غريب أمرك ، أحقاً أن ما ترويته حادث في هذا العصر ؟!!

قـالت : كنت مثلك أقرأ هذه القصص في كتاب البخلاء للجاحظ ، ولكـن زوجي فيما يبدو يرى أنّ بخلاء الجاحظ مسرفون سفهاء يجب الحجر عليـهم ، فأخذ يضع قوانين تكفل للبخل الدوام والاستمرار .

قـلت لها : أزوجك مسلم ؟؟

قـالت : نعم إنه يصلي ويصوم ، ولكنه عند دفع الزكـاة يصاب بحمـى تقلق منامه .

قـلت لها : ذكِّريه بحقوقك عليه ، فأنت من عائلة غنية مرفهة ، فعليه أن



يوفر لك معيشة مماثلة لمعيشتك الأولى ما دام موسراً ، معيشة تناسب بيئتك وعصرك الذي تعيشين فيه ، وإليك حكم الإسلام في ذلك لتشنفي به آذان زوجك المصون .

إن النفقة يا أختاه ... هي من حق الزوجة على زوجها فهي واجبة عليه بدليل قوله ﷺ في خطبة الوداع : ((**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**)) [1]

وعن ابن حكيم عن أبيه عن جده معاوية رضي الله عنها قال : ((**أتيت رسول الله ﷺ قال : فقلت : ما تقول في نسائنا ؟ قال : أطعموهن مما تأكلون ، واكسوهن مما تكتسون ، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن**)) .[2]

وإذا قصر الزوج يا أختاه في الإنفاق على زوجه وأولاده ، فلها الحق في أن تأخذ من ماله القدر الذي يكفيها وأولادها ــ من غير إسراف ــ حتى وإن كان ذلك بغير علمه ، فقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين : ((إن هند امرأة أبي سفيان قالت له : إن أبا سفيان رجل شحيح ليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال : ((**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)) .[3]

أما مقدار النفقة فقد أجمع الجمهور على أنها مردودة إلى العرف والعادة ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ :٨٨٩/٢ ــ ٨٩٠ رقم الحديث :١٢١٨ .

(٢) رواه أبو داود واللفظ له ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على زوجها ٢٤٥/٢ رقم ٢١٤٤ ، ورواه بلفظ آخر الحاكم في مستدركه :١٨٧/٢ ــ ١٨٨ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في مسنده :٣/٥ ، وقال الألباني : سنده حسن . انظر : إرواء الغليل :٩٨/٧ .

(٣) زاد المعاد : ٤٩٣/٥ .

فلم يحفظ عن أحد من الصحابة قط تقدير النفقة لا بمد ولا برطل.[1]

وقد أنصف الإسلام المرأة، وحفظ لها حقوقها كاملة، وضرب بذلك على كل يد تمتد إليها بسوء. وإليك ما قاله العلماء في حالة امتناع الزوج عن الإنفاق على زوجته مع يساره.

فقالت الحنفية[2] والحنابلة[3]:

إذا طلبت المرأة النفقة من زوجها فامتنع مع يساره وطالبت بحبسه، فإن الحاكم يحبسه، لأن النفقة دين عليه كالقضاء، فكانت كسائر الديون، إلا أن الحاكم يؤخر الحبس إلى مجلس أو ثلاثة وينصحه في كل مجلس، فإن امتنع بعد النصح حبسه كسائر الديون وإذا حبسه من أجل النفقة سلمه القاضي إليها بغير رضاه، وما كان من خلاف الجنس لا يبيع عليه شيئاً من ذلك ولكن يأمره أن يبيع بنفسه في قول أبي حنيفة، وفي قول صاحبيه يبيع عليه وكذا قول الحنابلة لقوله ﷺ لهند امرأة أبي سفيان: «خذي ما يكفيك وولدك»، ولم يفرق ﷺ بين جنس وجنس من المال، ولأن ذلك ماله فتأخذ منه النفقة والدنانير، وللحاكم ولاية عليه إذا مانع بدليل ولايته على دراهمه ودنانيره، ولم يجعل رسول الله ﷺ لها الفسخ، **وهو الراجح عند الشافعية**[4].

أما المالكية ... فرأت أنه إذا طالبت الزوجة بالإنفاق أو الفسخ أمره الحاكم بالنفقة، فإن امتنع أمره بالطلاق، وحكم عليه به، فإن أنفق، أو طلق

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب من أجر أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم :١٠٣/٣/١، مسلم كتاب الأقضية باب قضية هند :١٣٣٨/٣ رقم ١٧١٤.

(٢) زاد المعاد : ٤٩٣/٥.

(٣) بدائع الصنائع :٢٨/٤ـ٢٩، فتح القدير ٣٩١/٤ ـ ٣٩٣.

(٤) نهاية المحتاج :٢٠٢/٧.

فلا كلام ، وإن أبى من ذلك ، فإن الحاكم يطلِّق عليه حالاً بلا تلوم وهـذا هـو المعتمد من المذهب [1].

ويرى ابن حـزم ... أن من منع النفقة والكسوة ، وهو قادر عليها فسـواء كان غائباً أم حاضراً ، فهو دين في ذمته يؤخذ منه أبداً ، ويقضي لها بـه فـي حياته ، وبعد مماته ومن رأس ماله يضرب لها به مع الغرماء ؛ لأنه حق لـها فهو دين قبله [2].

وبعد أن انتهيت من حديثي ، قالت لي محدثتي فـي اسـتغراب وحمـاس ظاهرين :

إن ما قلته كنت أجهله البتة !! ألهذا الحد أنصف الإسلام المرأة ؟!!

إذاً من الحمق والغباوة أن تظل المرأة جاهلة بحقوقها ، فعليها أن تـدرس بفهم ووعي كل ما جاء بخصوصها في الشريعة السمحة حتى لا يسـتغل (آدم) جهلها ، ويتمادى في ظلمها .

وفجأة تغيرت سحنتها وبدا عليها الأسف والمرارة ، وقالت : إن زوجي من الجهل والغطرسة بمكان ، فأنا واثقة من أنه سيحتال ليخرج نفسه من أي دليـل أكبله به ، **وسيقـول** : هذا رأي من آراء العلماء ومذهبي غير ذلك ، والأمـرُ من ذلك أنه لا يعترف أن ما به بخلاً ، إنما يعزوه إلى الزهد ، وأن الزهد أمـر مطلوب في الإسلام .

فقـلت لها : أختاه إن قضية الزهـد التي يقنعك بها ليست علـى الوجـه الذي يذكر ، فالزهـد ليس مرادفاً للبخل . فالزهد محمود ، والبخـل مذمـوم . وحقيقة الزهـد يا أختاه هو أن يمتلك الإنسان المادة بيديه ، ولا يمتلكها قلبه .

---

(١) جواهر الإكليل :٤٠٥/١.

(٢) المحلى :٩١/١٠ .

آدم وحواء الداعية

إن تبليغ دعوة الله أمر واجب على كل مسلم ومسلمة كل على قدر علمه ، واستطاعته ، قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[1]

وقال ﷺ : ((**نَضَّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها**)) .[2]

وقال أيضاً : ((**بلغوا عني ولو آية**)) .[3]

وفي عصرنا هذا عصر المغريات والشهوات ، والمعاصي يحتم علينا أن نطوي الملاحف ، ونشد المآزر ، ونسارع في تبليغ أمر الله .

وقد سار (آدم) في درب الدعوة مسافات طويلة تاركاً **حواء** على قارعة الطريق محتجاً بأن الدعوة أمر خاص بالرجال دون النساء .

وأنا أقول له : هل الإسلام خاص بالرجل دون المرأة ؟؟

وهب أن دعوة الرجال قد نجحت ، وصلح رجال المجتمع ، ولكن المرأة باقية على جهالتها ، فهل للدعوة فعاليتها ؟!!

إذاً لا بد من توازن في الدعوة حتى نسير بشكل سليم لا عوج فيه .

ولعل الذي ساعد الغرب ، وشجعهم على اتخاذ المرأة المسلمة وسيلة حية لتنفيذ مخططاتهم ، وجعلها نقطة الانطلاق الفعالة . هو علمهم بإهمال الرجل المسلم لها ، وعدم اهتمامه بتثقيفها وتوعيتها فظل عقلها فارغاً من كل خير ،

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة باب من بلغ علماً :١/٤٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد :٢/١٥٩ ــ ٢٠٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢/٣/٩ .

وقلبها مليئاً بالأهواء والشهوات ، فهي إذاً سهلة الانقياد وراء المغريات ، وهي تربة خصبة صالحة لزرع أفكارهم المسمومة ، وعقائدهم الموهومة .

إذاً الرجل المسلم الذي يمنع **حواء** من تبليغ الدعوة ، هو المساعد الأول للأفكار الهدامة .

ستقول يا آدم : مكان المرأة البيت ، وعليها أن تهتم بتربية أبنائها وطاعة زوجها ، فإن هي فعلت ذلك دخلت الجنة لقوله ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** »[1] .

وهذا كلام صائب ، وما من أحد يطلب من المرأة أن تهمل بيتها وزوجها من أجل تبليغ الدعوة ، فإن هي فعلت ذلك فقد كساها الخطأ من رأسها حتى أخمص قدميها .

ولكن القصد هو أن تتعاون معها **يا آدم** ، فتنظم وقتك وتهبها سويعات منه ، فتحمل عنها عبء الأولاد ولو يوماً واحداً في الأسبوع وتقوم بتوصيلها إلى دور العلم لتزداد نوراً وفقهاً ، أو لتنير لبنات جلدتها طريقهن ، ولك في كل الأحوال الأجر العظيم ، لأنك جعلت الدعوة مبصرة بعينين بدل أن كانت عوراء تنظر إلى المجتمع بعين واحدة هي عين الرجل .

وهناك بعض أبناء آدم ممن قد وعى دور المرأة في الدعوة بادئ الأمر ، فكان يطلب الاقتران **بحواء** الداعية ، فلما تزوجها انقلب على عقبيه ،

---

(١) ذكره ابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح ابن حبان ، ذكر إيجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها مع إقامة الفرائض لله جل وعلا : ١٨٤/٦ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، باب النكاح : ٣١٥ حديث رقم ٢٩٦ ، صحيح الجامع الصغير :٢٤٠/١/١ رقم ٦٧٣ ـ ٦٧٤ .

وجعلها سجينة البيت ، ومنع المجتمع من خيرها ونفعها ، لقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها محط رحال الراغبين في العلم رجالاً ونساءً ، فكانت رضي الله عنها على قدر كبير بفقه الإسلام وأصوله إلى جانب درايتها بكثير من أبواب المعرفة المتنوعة ، منها علمها بالطب والشعر ، قال عروة لعائشة رضي الله عنها :

يا أمتاه لا أعجب من فقهك ، أول : زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر الصديق ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ، ومن أين هو ؟! قال : فضربت عائشة على منكبه ، وقالت : (أبا عُرَيَّة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجه فمن ثم) .[١]

ولقد كانت رضي الله عنها راوية للحديث ، فقد روت عن رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، وفاطمة الزهراء ، وسعد ابن أبي وقاص ، وحمزة بن عمرة الأسلمي ، وجذامة بنت وهب (٢٢١٠) حديثاً ، ذكر لها في الصحيحين منها سبع وتسعون ومائتا حديث ، والمتفق عليه منها أربع وسبعون ومائة حديث ، وبها يقول علماء الحديث إن عائشة رضي الله عنها تعد من رواة الحديث المكثرين .[٢]

لقد كان لسيدنا محمد ﷺ الفضل في تكوين شخصيتها ، وتعليمها ، وتفقيهها ، وإعدادها للدعوة والإفتاء ، فكانت رضي الله عنها تسأل ، وتناقش

---

(١) أعلام النساء : عمر رضا كحالة :١٠٥/٣ .

(٢) المجتبى لابن الجوزي : ٩٢ .

جـــاء في الحديث : ((**إن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفـــه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وإن النبي ﷺ قال : من حوسب عُـــذِّبَ ، قـــالت عائشة : فقلت : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك**))[1].

ولم يقتصر فضله ﷺ على نســـائه ، بل تعداه إلى نساء المؤمنين ، فكـــان يهتم بوعظهن ، وإرشادهن ، وتعليمهن أمور دينهن ، فتفتحت أذهان النســـاء ، وأخذن يسألن عن الأمور التي تخصهن ، ويناقشنه ، ويرد عليهن ، ويقنعهن .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((**قالت النساء للنبـــي ﷺ غلبنـــا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن، وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولـــدها إلا كـــان لها حجاباً من النار فقالت اثنتين فقال واثنتين**))[2] ، وقد بلغ من وعي المـــرأة ، ورغبتها في الوقوف على أمور دينها أنها كانت تسأل رسول الله ﷺ في أخـــص المسائل وأدقها ، لأنها علمت أنه لا حياء في الدين .

ولم يستنكر رسول الله ﷺ هذه الشجاعة ، بل قال : ((**نعم النســـاء نســـاء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**))[3].

ولقد كانت المرأة تناقش الخلفاء في أمور الدين ، ومن ذلك قصـــة المـــرأة التي ناقشت عمر بن الخطاب حين أراد أن يحـــدد الصداق فذكرت لـــــه قولـــه تعـــالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتم إحداهن**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرف : ٣٧/١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم : ٣٦/١ .

(٣) رواه مسلم وأبو داود ، وابن خزيمة في صحيحه واللفظ لمسلم ، انظر : صحيح مســـلم بشـــرح النـــووي ، كتاب الطهارة ، باب غسل المستحاضة وصلاتها :١٦/٤ ، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب الاغتســـال من الحيض : ٨٥/١ ، صحيح ابن خزيمة كتاب الطهارة ، باب غسل المرأة من الجنابة : ١٢٥٤/١ .

قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾[1]

فقال عمر رضي الله عنه ، وهو الخليفة المطاع ، وأمام مرأى من الناس ، قال بكل تواضع : (أصابت امرأة وأخطأ عمر)[2]

وهذا كله دليل على إدراك الرسول ﷺ والخلفاء من بعده لأهميـــة توعيـــة المرأة ودورها في تكوين المجتمع المسلم .

ويرى بعضهم أن من حِكَم تعدد الرسول لزوجاته ، هو رغبتـــه وحرصـــه على تخريج بضع معلمات للنساء يعلمهن الأحكـــام الشرعية الخاصة بهن ممـــا كان ﷺ يستحيي أن يخاطب به النساء .

---

(١) النساء : ٢٠ .

(٢) حقوق النساء في الإسلام /،محمد رشيد رضا ــ٦٢ .

آدم وظل الحائط

قرأت مقالاً في إحدى الجرائد اليومية بعنوان :

(ظل رجل ولا ظل حيطة)[1]

وفحوى هذا المقال تشجيع الشباب على الإقدام على الزواج من الفتيات الحاصلات على شهادات عالية ، وضرب الكاتب مثلاً بطبيبة تزوجت رجلاً أقل كفاءة منها ــ ويبدو أنه على غير اقتناع تام منها ــ وقد تمثلت بهذا المثل .

واتخذ الكاتب من تمثل الطبيبة بهذا المثل دليلاً على عدم رفض **حواء** لأي رجل طالما أنها تريد ظلاً ، وفي هذا حافز للرجل على طرق أي باب شاء .

واعتراضي لا ينصب على مضمون المقال بقدر ما ينصب على عنوان المقال .

فعنوان المقال مثل قديم ولدته الظروف البيئية ، والاجتماعية ، والاقتصادية في حقبة زمنية معينة .

ويبدو أن **آدم** اليوم قد قلَّب كتب الأمثال الشعبية ، فطار فرحاً حين وجد هذا المثل ، وتشبث به ليشهره في وجه **حواء** في كل وقت ، مذكراً إياها بحاجتها إليه .

حواء يا **آدم** تعترض على التركيب البياني لمثلك ، فتنكير كلمة رجل تدل على أن المقصود أي رجل على الإطلاق سواء أكان صاحب خلق

---

(١) حاولت جاهدة الحصول على نسخة من المقال ، ولكنني لم أوفق حتى الآن ، والمقال للأستاذ بدر كريم ، نشر في جريدة عكاظ عام ١٤١٠ هـ .

ودين أم عديمه ، جاهلاً أم متعلماً ، كفئاً أم غير كفء ، فدلالة التركيب أن هذا الرجل المُطْلَق هو أرحم من ظل أي حيطة سواء أكانت حيطة متداعية للسقوط ، أم حيطة متينة دائمة الظل .

فالتنكير إذاً يفيد الإطلاق والعموم ، **وحواء** اليوم ليست في حاجة إلى أي رجل ، بل ترى أن ظل الحيطان أستر لها ، وأحنى عليها من بعض رجال اليوم .

حواء الأمس كانت تجبرها ظروفها للقبول بأي رجل يتقدم إليها ليوفر لها الطعام والشراب والكساء ، أيا كان نوعه ، وأياً كانت قيمته ، حتى قالت الجدات :

(الرجل رحمة ولو دخل بفحمة) .

وكانت كل أم تدرس ابنتها ، وتحفظها المثل القائل : (الولية ولية ولو كانت عتبتها من ذهب) .

فتقتنع **حواء** بكلام أمها وجدتها وتستسلم له ، فتقبل أي رجل يدق بابها .

ويبدو أن معها حقاً في اقتناعها وقبولها ، لأن رجال الأمس غير رجال اليوم ، ولكن حيطان اليوم أشد متانة من حيطان الأمس .

وحواء اليوم تقبل بالمثل ، وتقتنع به إذا كان بالتركيب التالي :

(ظل الرجل ولا ظل حيطة) .

نعم (الرجل) بأل التعريف التي تفيد الكمال أي الرجل الكامل كمالاً إنسانياً في دينه وأخلاقه ومعاملته .

آدم الشرق وآدم الغرب

لقد هذَّب الإسلام نظرة الرجل المسلم للمرأة وجعله ينظر إليها من خلال منظار واضح لا يريه إلا صوراً جميلة خلابة ، فيهفو إليها فؤاده ، وتسكن إليها نفسه ، ولكن يبدو أن آدم اليوم قد وضع هذا المنظار فوق رفوف المكتبات ، فاعتلاه الغبار وانعدمت به الرؤيا واستبدل به منظار الجاهلية الأولى .

وهكذا فسدت نظرة آدم الشرق للمرأة ، فهو يريدها صغيرة حتى يتمكن من السيطرة عليها ، ويفرض آراءه على حياتها .

وآدم **الغرب** .. ترك الحبل على الغارب ، فهو ينادي بحرية المرأة ويرفض السيطرة عليها في أي صورة من صورها .

آدم **الشرق** .. يريد أن يحبسها في المنزل ، ويمنعها من الخروج بتاتاً وكأنها عصفور سجين .

وآدم **الغرب** .. يغريها بالخروج من البيت بشتى الوسائل ، وفي جميع الأحوال ؛ لأنه يريد مناصرة المرأة ـ على حد زعمه ـ حتى أُرهقت **حواء** من هذا الخروج ، وأخذت تصيح وتصرخ مطالبة بإعادتها إلى بيتها المطمئن .

آدم **الشرق** .. يريدها جاهلة حتى لا تناقشه فتُسقط بعض آرائه وهو يستعظم أن يتراجع عن رأيه لقول امرأة وهو يأبى الأخذ بمشورتها ناسياً مشاورته ﷺ لنسائه وأخذه برأيهن ، ومن ذلك أخذه ﷺ بمشورة أم سلمة في يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن ينحروا بعد أن فرغ من توقيع عقد الصلح مع وفد قريش ، ولكنهم لم يستجيبوا لأمره ﷺ وكان قد أمرهم ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما يلقي من

الناس ، فأشارت عليه رضي الله عنها بقولها : ((**يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً**)) [(١)].

وآدم الغرب .. نراه قد اشتط في الأخذ بآراء النساء وتحكيمهن حتى أصبحت المرأة هي المسيطرة على حياة الرجل ، وأصبح منهن من تحكم الرجال بل وتحكم دولاً بأسرها ، والرسول ﷺ يقول : ((**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**)) [(٢)].

لأن سياسات الدول تحتاج إلى تكوين جسدي وعقلي ونفسي وعاطفي معين ، وتكوين المرأة لا يهيؤها لتحمل مشكلات تلك السياسات ، ولكنه الرضوخ للمرأة والتبعية لها .

آدم الشرق .. لا ينظر للمرأة إلا بعين الجمال الجسدي الظاهري ، فهو المقياس الذي يستعبده ويتعب نفسه في اقتنائه ، وهو بهذا قد امتهن المرأة .

وآدم الغرب .. قد هتك جمال المرأة ، وجعله سلعة تباع على صفحات المجلات والجرائد ، وإعلانات المبيدات ، وشفرات الحلاقة .

ونظرة آدم الشرق وآدم والغرب .. على ما بينهما من تباعد ونفور إلا أنها تلتقي في كونها نظرة غير إيمانية تتحكم فيها الذات والأهواء .

أما آدم المنصف .. الذي يحفظ **لحواء** حقوقها ، ويتفانى في تحقيها

(١) صحيح البخاري ، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام : ٢٥٧/٣ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ، والنسائي ، والترمذي ، والحاكم ، وأحمد ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب الفتن : ٧٠/٩/٣ ، النسائي : كتاب القضاة ، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم : ٢٢٧/٨ ، سنن الترمذي ، كتاب الفتن : ٢٣٦٥/٣ ، مسند الإمام احمد : ٥٠/٥ ، المستدرك : ١١٩/٣ .

هو آدم المسلم الواعي .. سواء أكان في الشرق أم الغرب ، آدم الذي درس حقوق المرأة والأسرة ، قبل أن يدرس حقوقه على المرأة ، آدم الذي تربى تربية إيمانية صحيحة ، آدم الذي جمع في قلبه وعقله أحاديث المصطفى ﷺ عن المرأة ، آدم الذي قرأ بصدق سيرة الرسول ﷺ مع زوجاته ، وكان يتشوق للاقتداء به ، وليس هو آدم الذي عرف من السنة ظاهرها ، وتمسك بها .

وليس هو آدم الذي أطال شعره ، وزجج حواجبه ، وحلق لحيته وشاربه ، وتزي بزي النساء ، ولبس الخلاخل .

وأخيراً تتساءل حواء ...

أين هو آدم الإيماني المثالي ؟!!

حواء تناقش آدم

قرأت حـواء في إحدى الجرائد اليومية مقالاً بعنوان :

(بادروا إلى تزويج بناتكم واخطبوا لهن الأكفاء) .

وهو لأحد الأفاضل وكان جواباً عن السؤال التالي :

(تطرقتم فضيلتكم في فتوى سابقة إلى موضوع الزواج .. وقد نشرت في إحدى المجلات استغاثة من طبيبة تقول فيها : خذوا جميع شهاداتي وأعطوني طفلاً .. ونود منكم أن تواجهوا الشباب والفتيات حول أهمية الزواج) .

فأجاب فضيلته قائلاً : نصيحتي للشباب ــ من بنين وبنات ــ أن يبادروا إلى الأخذ بوصية المصطفى وأمره .. فإنه قد ثبت في الصحيح أنه قال عليه أفضل الصلاة والتسليم : ((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج .. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**))[1] .

وهذا أمر منه ﷺ .. ثم إن المدنية العصرية ، والقدوة السيئة ، وبعض الأفكار التي سرت في بعض المجتمعات الإسلامية ، ولم تكن معروفة قد أثرت علينا تأثيراً بالغاً .. كان الناس في وقت أدركته قلَّ أن تجد فتى تجاوز العشرين ولم يتزوج ، وقلَّ أن تجد فتاة تجاوزت السادسة عشرة ولم تتزوج ، فإذا بلغت السابعة عشرة عُدَّت من العوانس .

وفي وقتنا هذا إذا تزوجت في هذا السن ظنوا أنها طفلة بودر بزواجها .. وما كان يجب أن يحدث ذلك .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة :٣/٧/٣.

ثم إن كثرة العوانس في البيوت سببها تعلق الفتيات بالدراسة أو عزوفهن عن قبول الزواج في انتظار شاب بمواصفات خاصة ولا يكون قد تجاوز السن حداً معيناً .. ولا شك أن الفتى أحب إلى الفتاة كما أن الفتاة أحب إلى الفتى .. لكن قد يكون زوج تتجب منه البنت التي فاتها قطار الزواج المبكر خير لها من انتظار شاب لا يرغبها ، وبالتالي تبقى عانساً ، ثم كهلة ، فامرأة شمطاء ، لا هي أدركت مرادها ولا نفعتها دراستها .

لاشك أن الدراسة والتعليم صارا في هذا الزمن من الأمور المتبعة والمألوفة ــ ولا أقول الضرورية للنساء ــ لكن لا يصح أن تكون هذه الأمور التحسينية عوائق عن أمر في غاية الأهمية وهو الزواج والإنجاب .

نصيحتي للشابات ، ولمن تجاوزت هذه المرحلة بقليل أن يحرصن غاية الحرص على الزواج ولو بأقل القليل ، لاشك أن كلماتي قد يأنف منها كثير منهن ولا سيما اللواتي لا يزلن في ميعة الصبا ، وقد يدرك حقيقتها من بلغن الثلاثين ، أو تجاوزنها ، اللواتي ينظرن إلى الوراء فيتذكرن شبابهن ، ومن تقدموا لخطبتهن فرفضن ويقلن الآن " يا ليت .. يا ليت " .

ونصيحتي لأولياء أمورهن أن ينشطوا في تزويجهن ، ولا يتركوا للواحدة الحبل على الغارب ، واختيار ما تريد ، فإن الولي يرى ما لا ترى من تحت يده من البنات ، بل يحرص على تزويجهن ، ولو أمكن أن يخطب لابنته فليفعل.

ولقد كان من هو خير منّا من سلفنا بمئات المرات كالخليفة الراشد عثمان ابن عفان ، وقبله الفاروق وغيرهما يخطبون الأكفاء لبناتهم ، وعلى الأم إذا لم تخطب ابنتها أن تُعرِّض كأن تقول : " لو أتانا فلان ولو كان مسنّاً لزوجناه " .

هذا أمر من التعاون ، وعلى البنت البالغة سبعة عشر عاماً أن ترسم خطاً

بيانياً في دفترها لتنظر مراحل التخلف ، وسوف يهولها الأمر ، فإنها إذا بلغت الأربعين قَلَّ طالبها ، وإذا بلغت الخمسين ندر طالبها ، وإذا تجاوزت صارت عمة أو خالة لا جدة ولا أماً ، وتعذر عليها أن تصل إلى أية صفة من الصفات التي تنفعها في الشيخوخة ، نسأل الله أن يهيء للشبيبة ومن تجاوزها الخير والسعادة ، وتيسير أمور الزواج وتذليل عقباته ...)) [1].

تغلغلت **حواء** في صلب الموضوع فوجدت أن الصلب مناقض للعنوان ، وأن ما جاء في المقال يسيء إلى ذات **حواء** .. **حواء** التي كرمها الإسلام ورفع من شأنها ، **حواء** التي لم ينصفها دين كما أنصفها الدين الإسلامي .

فأحست انه من الواجب عليها أن تدافع عن بنات جنسها مستجيرة بالكتاب والسنة ، فكتبت تناقش (آدم) الفاضل بمقال في نفس الجريدة وتحت عنوان :

(المرأة ليست آلة للتفريخ)[2] قالت فيه : لا شك أن الزواج ضرورة من ضرورات الحياة ، وهو الوسيلة الصحيحة لبقاء النوع واستمراريته .

ولقد حثنا الدين الإسلامي الحنيف على التزاوج ، ورغَّب الشباب في هذا الأمر ، وكان أسلوب القرآن الكريم خير أسلوب ، أسر برقته وجماله النفوس ، وقادها إلى طريق الاستجابة في استسلام وطاعة ، قال تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون ﴾[3]

وتأمل طريقة المصطفى ﷺ في توجيه الشباب ، وترغيبهم في الزواج حيث قال ﷺ : ((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم**

---

(١) جريدة عكاظ ـ العدد :٨٤٢١ تاريخ ١٤١٠/١/١٢ .

(٢) جريدة عكاظ ـ العدد :٨٤٣١ سنة١٤١٠ .

(٣) الروم :٢١ .

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[1].

وتمعن في هذا الحل السليم الذي وضعه المصطفى ﷺ لمـــن لـــم تســعفه ظروفه على الزواج ، فالانشغال بالعبادة والأعمال النافعة خير علاج لصـــرف طاقة المرء عن الحرام . كل هذا النصح ، وهذا الإرشاد كان في أسلوب بعيـــد عن اللوم والتجريح .

ولكنني أرى اليوم على صفحات المجلات والجرائد أمراً عجباً ؟!!

أرى سياط اللوم والتقريع تمزق أحاسيس العذارى ، وتدمي مشاعرهن فبعـــض كتـــاب المقـــالات ممن حاول معالجـــة ظاهرة (انحســـار دائرة الزواج فـــي المجتمع السعودي) ــ واخترت هذه العبارة دون العبارة الركيكة التي تلوكـــها الألسن (ظاهرة العنوسة) ، لأن في هذه العبارة الأخـــيرة إيـــذاءً للمشـــاعر ، وخدشاً للكرامة ــ أخذ يصور الفتاة التي تأخرت في الزواج لسبب ما ، وكأنهـــا وباء على المجتمع ، وعبء ثقيل يهدد كيانه .

والبعض الآخر أخذ يتفنن في الإتيان بمقابلات سخيفة مع رجال أهلكتـــهم السنون ، وخربت عقولهم عوامل الدهر ، ليدلوا بدلوهم فـــي بنـــت الثلاثيـــن ، وإظهار مقتهم لهذه السن ، وتفضيلهم بنت الخامسة عشرة البكر التـــي ترضـــي عواطفهم المتصابية ، هذا من غير أن يتطرق الكاتب إلى تقويم هذا الاعوجـــاج الفكري .

وآخر ما قـــرأت موضوعاً لأحد الأفاضل الذين أعـــتز بـــهم ، وبآرائـــهم أذهلني أســـلوبه الجارح الذي يخدش أحاسيس وعواطف القواريـــر ، وآلمتنـــي طريقته غير المنطقية في معالجة الموضوع ، فهو على الرغم من عطائه الغزير

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة : ٣/٧/٣ .

في موضوعات كثيرة ضنَّ على المـرأة في مقالته هذه بما شـرعه الله لـها ، حيث قال في موضوعه :

" ونصيحتي لأولياء أمورهن أن ينشطوا فـي تزويجـهن ، ولا يـتركوا للواحـدة الحبل على الغارب واختيار من تريد " .

أقول يا شيخي : إن الواحدة إذا بلغت الثلاثين ، وبلغت درجة عاليـة مـن التعليم أصبح لها فكر متزن ، وعاطفة ناضجة يؤهلانها لاختيار مـن تريـد ، وليس لوليها إرغامها وإكراهها ، وهذا الحق قد منحها إياه الديـن الإسـلامي ، ومنع وليها من التدخل القسري ، وأعطاه حق النصح والإرشاد والمشاورة فـي الأمر لا أكثر ولا أقل .

فعن ابن عباس ﷺ : ((**أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت له أن أباهـا زوَّجها وهي كارهة فخيرها النبي**)) .[1]

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيـه قال : ((**جـاءت فتـاة إلى النبـي ﷺ فقالت : إنَّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسـته ، قال : فجعـل الأمـر إليها ، فقـالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تَعْلَم النساءُ أن ليـس إلى الآباء من الأمر شيء**)) .[2]

والإسلام يا شيخي .. أعطى المرأة أكثر من هذا الحق ، ويتمثل هذا فـي حديث امرأة ثابت بن قيس بن شماس حين جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت :

((**يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خـلق ولا ديـن ولكنـي أكره الكفر في الإسلام ، فقال النبي ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعـم ،**

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة :٣١٥/١ رقم الحديث ١٥٢٠ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة :٦٠٢/١ ـ ٦٠٣ رقم ١٨٧٤ .

قال رسول الله ﷺ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة ».[1]

فهذه المرأة لا تريد مفارقة زوجها لسوء خلقه ، ولا لنقصان دينه ولكن أرادت مفارقته لدمامته ، فقد كرهت أن تحملها مشاعرها نحوه على التقصير فيما يجب له من حق فتكون ممن يكفرن العشير ، لم يهزأ الرسول ﷺ من مشاعرها ، ولم يقف أمام رغبتها على الرغم من صلاح زوجها وحسن خلقه ، وعلى الرغم من عظم الطلاق وكراهيته . ففعله هذا ﷺ دليل على احترامه لعاطفة المرأة ، وبيان لمدى حريتها المطلقة في اختيار من تريد ، ومن ترغب .

وأنت يا شيخي ... تطلب من الأمهات أن يعرضن بناتهن في المجالس ، وليس هذا فحسب بل عليهن أن يبخسن البضاعة . وأن يقبلن بأي ثمن لها ولو كان رجلاً مسناً ؟!!

ولو هنا يا شيخي ... للتقليل والتهوين ، فقد قلت في مقالك : (وعلى الأم إذا لم تخطب ابنتها أن تُعرِّض كأن تقول : لو أتانا فلان ولو كان مسناً لزوجناه) ، وقلت أيضاً : (نصيحتي للشابات ، ولمن تجاوزن هذه المرحلة بقليل أن يحرصن غاية الحرص على الزواج ولو بأقل القليل) .

وفي نظري أن في هذا انتقاصاً لقيمة المرأة التي حرص عليها الإسلام كل الحرص ، صحيح أن الإسلام لم يمانع في أن يخطب الرجل لابنته الرجل الكفء المناسب لها ، وهذا أمر سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ولكنهم لم يتفوهوا بتلك العبارات ، ولم يعرضوا بناتهم بهذه الطريقة .

ومن فحوى عباراتك يا شيخي : إن الفتاة إذا بلغت الثلاثين أصبح من الحق المشروع سلبها كل حقوقها العاطفية والفكرية ، وتجريدها من كل

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه :٣/٧/٦٠ .

مشاعرها ، وعلى ذويها أن يسوقوها إلى أي زوج ، فهي يجب أن تقتنع بعد هذه السن بأن تكون آلة سريعة للتفريخ فقط لا غير ، فالمهم أن تنجب طفلاً من أي زوج كان ، وبأي مواصفات تكون (وهذه المعاني أكثر ما يبرزها تنكير كلمة زوج المسبوقة بفعل الكينونة) فقد قلت : (لكن قد يكون زوج تنجب منه البنت التي فاتها قطار الزواج المبكر خيراً لها من انتظار شاب لا يرغبها ، وبالتالي تبقى عانساً ثم كهلة ، فامرأة شمطاء لا هي أدركت مرادها ، ولا نفعتها دراستها) .

وأنا أقول لك يا شيخي ... وإلى جميع من كتب في هذا الموضوع إن هناك حقيقة غابت عن أذهان الكثير ، فأدانوا البريء ، وأدخلوه قفص الاتهام ، وتركوا المتهم طليقاً .

فالفتاة التي بلغت الثلاثين ، أو تجاوزتها بقليل ، لم ترفض الزواج من أجل التعليم كما يتوهم الكثير ، ولكن السبب الأول والرئيسي يعود إلى سنة ١٣٩٠ هـ وما قبلها بقليل ، حين نشطت حركة الزواج بغير السعوديات ـ مسلمات وغير مسلمات ـ نتيجة للبعثات العلمية الخارجية ، حيث احتك الطلاب بتلك المجتمعات احتكاكاً دينياً وفكرياً واجتماعياً وعلمياً أدى إلى انقلاب الفكر في كثير من النواحي التي منها تغيير نظرة الشباب للمرأة ، فأخذ يطمح في البحث عن مواصفات جديدة فيها تلائم فكره ورغباته وميوله ، فَكثُر الطلاق في تلك الآونة ، وكثر الزواج بأخريات أجنبيات .

وهجر الشباب الزواج من الداخل ، وانصرفوا إلى الاقتران بغير السعودية الأمر الذي أدَّى بالمسؤولين إلى وضع حد للزواج بالأجنبيات وقامت الصحف تبين ضرر هذا الزواج والمشكلات التي تخلفها مثل هذه الزيجات على الفرد

والمجتمع ، فكانت هذه المبادرة الطيبة من المسؤولين عاملاً قوياً في القضاء على عائق كبير ، وبالتالي نشطت حركة الزواج من الداخل في الوقت الراهن ، وإن كانت حركة الزواج بغير السعوديات لم تتوقف نهائياً بعد .

وكان من الطبيعي أن يكون هناك عدد كبير من الفتيات بقين من غير زواج مقابل عدد الشباب الذين تزوجوا من الخارج في ذلك الوقت ، وهؤلاء هن اللواتي دفعن ضريبة ذلك الانفتاح الخارجي ، فما كان منهن إلا أن أقبلن على التعليم برغبة وإلحاح لقتل أوقات الفراغ بالمفيد النافع . وعلى عواتق هؤلاء المكافحات نهض التعليم ، وانتشرت الثقافة ، وارتقى المجتمع ، فمنهن الآن الدكتورات ، والطبيبات ... والممرضات ، والموجهات ، والمديرات ، والمدرسات ... فهن إذن قوام المجتمع وعماده . أفبعد هذا الصبر ، وهذه التضحيات يقابلن بالهجوم والتجريح ؟!!

وثمة نقطة أخرى أود أن أشير إليها بعد أن ناقشتها مع الكثيرات ممن تجاوزن الثلاثين ــ ومن الممكن إجراء استفتاء صحفي حول هذه القضية ــ وهي أن الزواج أولاً وأخيراً قسمة ونصيب كما يقولون ، وهو قدر محتوم ، فالكثيرات منهن تتسم نظرتهن بالواقعية ، فلم ترفض إحداهن الزوج الكفء بإرادتها ، وإنما هي إرادة الله واختياره ، فالواحدة منهن إذا تقدم لها الرجل الصالح الذي يناسبها تستخير الله سبحانه وتعالى الاستخارة الشرعية فيكون أمر الله وقضاؤه بعدم الأمر (أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد) . والحمد لله أن الكثيرات منهن قد استسلمن لهذا القضاء برضى وقناعة .

فيجب أن لا تعمم النظرة على جميع الفتيات من أجل صرخة فتاة[1] لا نعلم

---

(١) أعني بها الفتاة التي كتبت مقالاً بعنوان (خذوا شهادتي وأعطوني طفلاً) .

ظروفها النفسية والاجتماعية والعاطفية التي تحيط بها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النظرة غير الموضوعية لمسألة تأخر الزواج ، ومعالجة هذا الموضوع الحساس بأساليب بعيدة عن المنطق وعن الأسلوب العلمي القويم سيؤدي حتماً إلى نتائج عكسية ، وأخطار وخيمة على الفرد والمجتمع ، فتهويل أمر تأخر الزواج وتصويره بأنه شبح مخيف ، وداء عضال قد يدفع بعض الصغيرات إلى البحث عن أي زوج كان ، ومن أي طريق ، وبأي وسيلة كانت مشروعة أو غير مشروعة تخلصاً من نظرة المجتمع القاسية ، وهرباً من شبح العنوسة المرعب ، كما يصوره البعض .

وأخيراً أقول :

أختاه .... يا من وصلت سن الثلاثين أو أكثر ، وعففت نفسك عن الحرام ابتغاء مرضاة الله ، وإيماناً بقضائه وقدره لا يضيرك ما يقول القائلون فما الدنيا إلا سويعات وتنقضي ، وستنالين بإذن الله جزاء صبرك ، فربما قصرت بك أعمالك عن بلوغ الجنة فكان عدم زواجك هذا مع تعففك عن الحرام هو سبب فوزك بجنات النعيم .

وأوصيك يا أختاه ... بأن لا تقبلي إلا الرجل الكفء الذي تقتنعين به تمام الاقتناع والذي تشعرين بأن معه ستكون الرحمة والمودة والسكن .

وإياك والقنوط من رحمة الله ، فالسيدة خديجة رضي الله عنها قد تزوجت في سن الأربعين ــ وهي ثيب ــ بخير البرية محمد ﷺ وكان شاباً في الخامسة والعشرين من عمره ، ولم يسبق له الزواج قبلها .

فعليك أخية الدعاء ، فباب الكريم مفتوح ، والخير عنده موجود وقاصده لا يخيب ، فصبر جميل والله المستعان .

آدم المثالي في نظر حواء

إن في خيال حـواء صوراً مشرقة لآدم المثالي ، آدم الذي يطرب لـه قلبها ، ويحن إليه فؤادها ، وتحلم به ليلها ونهارها ، وتتمنى ظهور وتحقق هـذه الصور الخيالية على أرض الواقع .

قد لا يكترث آدم بمعرفة نظرة حـواء إليه نتيجة للرواسـب الجاهليـة التي تفرض على المرأة أن تهتم هي بنظرة آدم إليها فقط ، أما هـو فيكفيـه شرفاً أنه يحمل اسم (رجل) .

وعلى الرغم من ذلك فحـواء تصر علـى تسـجيل أحلامـها ورسـم صـورة آدمها المثالي لعل آدم في يوم من الأيـام ، وفـي عصـر مـن العصور تتعثر قدمه فلا يجد منقذاً له إلا أن يكون مثـالياً ، فيجد هذه الوثيقـة المتواضعة بين يديه فتقوده إلى طريق الصواب .

ولعل هناك فئة من أبناء آدم قد هذب الإسلام تفكيرها ، وأذهـب عنـها كبرياء الجاهلية ، فعرفت أن للمـرأة حقوقاً وواجبات عليها أن تؤديها وتلـتزم بها ، فتستفيد من هذه الوريقات .

وهاكم نموذجاً فريداً لآدم المثالي ...

◆◆ آدم المثالي في نظر حـواء هو التقي النقي الورع الذي يخاف الله ويخشاه في السر والعلن ، فلا يخاطبها إلا سلاماً ، ولا يعاملها إلا إكرامـاً ، ولا يطعمها ويكسوها إلا حلالاً .

◆◆ آدم المثالي يختار حـواء لدينها وخلقها لا لجمالها أو مالـها ، أو حسبها فقط ، لأن مقياس الدين فيه اعتراف بجوهرها ومعدنها ، فتشعر بأنه لـم

يخترها لعبة يلهو بها ، ثم إذا ملّها قذف بها جانباً ، واستبدل بها أخرى .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يطبق معنى الرجولة الحقة ، الرجولة المتمثلة في حق القوامة ، لا الرجولة بمعناها السوقي العام ، وهو فرض السلطة المطلقة في قيادة الأسرة .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يكون منطقياً في متطلباته ، فلا يرهق زوجه بالعمل داخل البيت وخارجه ، فإن اتفق معها على العمل خارج البيت عليه أن يعينها ويساعدها في أعمال المنزل وتربية الأولاد .

◆◆ آدم المثالي الذي يمتلك القدرة على كبح جماح غضبه ويمتلك الحكمة والقدرة على فض المنازعات ، لا أن يفتش بيديه عن المشكلات المدفونة .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يهتم بمظهره ونظافته الداخلية والخارجية ويعرف أن هذا واجب ديني عليه ، وليس هو أمراً خاصاً بالمرأة متعلقاً بها .

◆◆ آدم المثالي يحافظ على لياقته البدنية ويبقى جسمه رياضياً ، ولا يسمح للحوم والشحوم بالزحف على جسمه واتخاذه مسكناً ، فكما أنه يحب **حواء** التي تحافظ على رشاقتها ، وتهتم بأناقتها ، كذلك **حواء** تحب آدم الرياضي المفتول البنية ، الخفيف الحركة ، وتكره البدانة المفرطة .

◆◆ آدم المثالي يحب النظام ، فيقسم ساعات يومه بين عمله وزوجه وأهله وأصدقائه ، لا أن يمضي جل وقته في العمل هاملاً زوجه وأولاده ، ولا منساقاً خلف أصدقائه مضيعاً لحقوق أهله وعمله .

◆◆ آدم المثالي لا يكثر السفر من غير زوجه وأولاده بلا داع ، فإن اضطره عمل إلى السفر لفترات طويلة أصر على أن يصحب عائلته مهما كانت

الظـــروف ، فإن اجتماع الزوجين وبين أحضانهما أبناؤهما يزيل كل العراقيـــل والصعاب بسهولة ويسر .

◆◆ آدم المثالي يشعر بمسؤوليتـــه نحو أسرته ، فيهتم بتوصيل أبنائـــه إلى مدارسهم ، وأخذهم إلى أماكن الترفيه المسموح بها ، ويضع لهم برنامجـــاً إيمانياً يجتمعون من أجـــله عدة مرات في الأسبوع ، فيشعرون بقربـــهم مـــن والدهم ، ويزداد التراحم بينهم .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يمتلك حس الفنان المرهـــف ، فيتعـــامل مـــع عاطفة المرأة لا مع جسدها فقط ، ويحاول اختراع الأساليب الفنية التي ترضـــي غرور المرأة ، وفي نفس الوقت يبقيها ساكنة تحت جناحيه ، فلا يبخـــل عليـــها بالكلمات الحانية الرقيقة ، والمداعبات اللطيفة وألا يجعلها مقصورة على وقـــت معين وزمن محدد ، وأن يصدقها المعاشرة الزوجية ولا يشـــعرها بأنـــه هـــو صاحب الحق فقط ، فالمرأة إن شعرت بذلك أحست أنـــها ممتهنـــة الكرامـــة ، فيمسي عطـــاؤها جافاً لا حياة فيه ، وهذه هي بؤرة الخلاف فـــي كثـــير مـــن البيوت ، وإن كانت غير ظاهرة للأنظار .

يا آدم .. أعيد وأهمس في أذنك بأنَّ أعظم وسيلة لهزيمـــة المـــرأة هـــو امتلاك عاطفتها .

◆◆ آدم المثالي لا يرهق زوجـــه بالطلبات ، وبالإكثار مـــن أصنـــاف الأكل ، وكثرة العزائم ، وجلب الأصدقـــاء عمـــلاً بقولـــه تعـــالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[1] .

بل عليه أن يقدر عظم مسؤوليتها ، ولا يستهين بمهام البيت وأعبائه .

---

(١) الأعراف : ٣١ .

◆◆ آدم المثالي يسارع في تلبية احتياجات زوجه وأطفاله ، ويهتم بهـا ويعتبرها من الضروريات ، لا أن يغفل عنها ويماطل في إحضارها وتوفيرها ، فيثير غضب حـواء ، ويتلف أعصابها ، ويفتح بذلك مجال الشقاق والخلاف .

◆◆ آدم المثالي لا ينصب نفسه ناقداً لتصرفـات زوجتـه صغيرهـا وكبيرها فيراقب كل تحركاتها ، فلا تسمع منه إلا الانتقـادات اللاذعـة فـآدم المثالي هو الحكيم الذي لديه خبرة في معالجة عيوب المـرأة مـن غـير أن يشعرها فيجرح كبرياءها وأنوثتها ، وأن يتباحث معها في الأمور التي تزعجـه وتضايقه منها بأسلوب رقيق ، وكلمات حانية ، فسيرى حـواء ، وقد طأطـأت رأسها ، وانساقت وراء رغباته .

◆◆ آدم المثالي ليس بالمنَّان الذي يصر دائماً على تذكير زوجـه بمـا يفعله من أجلها وأولادها ، وأن عليها أن تحمد الله على لقمة العيش التي يقذفـها في فمها وعلى الثوب الذي يكسو جسدها .

◆◆ آدم المثالي الذي يحاول تجديد حياته مع زوجه بإدخال جو المـرح والرحلات ، فإذا شعر بفتور في علاقته معها لا ينطوي داخـل ذاتـه ، ويبـدأ بإظهار الضجر والتأفف ، بل يلجأ إلى الصبر والحكمة ويفكـر فـي الطـرق السليمة التي تعيد للحياة بهجتها .

◆◆ آدم المثالي يتجنب الكذب على زوجه ، فيكون واضحاً معها فـي جميع تصرفاته ، لأن حـواء إذا شعرت أن هناك أموراً يكتمها عنها زوجـها أحست بأن ذلك عدم ثقة بها ، وأنها ليست أهلاً لأن تكون أمينة سـره ، وهـذا دليل على عدم محبته الكـاملة لها ، فتظهر فجوة بينها وبين زوجها تكون سـبباً في نشوب كثير من الخلافات .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يثق في زوجه ، في عفتها وأخلاقها ، فلا يسيء الظن بها لأتفه الأسباب امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[1]

◆◆ آدم المثالي تأبى عليه كرامته ورجولته أن يلطم وجه امرأة ، أو أن ينهال عليها سباً وشتماً .

◆◆ آدم المثالي لا يفشي أسرار الزوجية أمام أصدقائه ، ولا يكشف عيوب زوجه لكائن من كان ، بل يجتهد في علاجها سراً وكتماناً ، فإن ذلك أدعى إلى استجابة حواء ، وإلى امتلاك ناصية طاعتها .

قال ﷺ : ((**هل منكم إذ أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول فعلت بأهلي كذا ، وفعلت بأهلي كذا ، فسكتوا ، فأقبل على النساء ، فقال هل منكن من تحدث ، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها ، وتطالت ليراها رسول الله** ﷺ **، ويسمع كلامها ، فقالت : أي والله إنهم ليحدثون وإنهن ليحدثن ، فقال : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة ، لقي أحدهما صاحبه بالسكة قضى حاجته منها ، والناس ينظرون إليه**))[2] .

وجاء في صحيح مسلم : ((**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**))[3] .

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) رواه أبو داود ، والبيهقي ، وأحمد في مسنده ، وقال الألباني : صحيح ، انظر : سنن أبي داود ، كتاب النكاح :٢/٢٥٣.السنن الكبرى للبيهقي :٧/١٩٣ ــ ١٩٤. مسند الإمام أحمد :٢/ ٥٤٠ ــ ٥٤١ . إرواء الغليل :٧/٧٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة :٢/١٠٦٠ حديث رقم ١٤٣٧ .

◆◆ آدم المثالي يحترم حياء المرأة ، ويعرف كيف يمتص رحيق هـــذا الحياء .

◆◆ آدم المثالي هو آدم اللبق الذي يجيد فن محادثة المرأة ، فلا يــهزأ بحديثها إن هي حدثته ، ولا يهون من شأن موضوعاتها ، بل عليه أن يســـتمع إليها في أناة ، فإن رأى قصراً في فهمها ، أو جموداً لجأ إلى اللباقة وأدار دفـــة الحديث بطريقة تجعل زوجه تشاركه ما يريد من غير أن يشعرها بالحرج .

وحذار من قطع حديثهـــا بكلمة نابية أو بحركة جافـــة ، أو اللجـــوء إلـــى الصمت المميت .

◆◆ آدم المثالي ليس متكبراً ، ولا متغطرساً ، ولا متعالياً على زوجـــه فإن كانت أقل منه ثـــقافة عليه أن يقوم هو بمهمة تثـــقيفها ، وتعليمــــها حتـــى تقرب من فكـــره وتلائمه لا أن يأخذها صغيرة السن قليلة العلم ويتركـــها فـــي البيت تقوم على راحته وخدمته ، ليتمكن هو من التسابق في ميادين العلم ، حتى إذا تربع على مركز مرموق تأفف من عقليتها ومن قلة وعيها وعلمها ، وأخـــذ يزدري فكرها ، فيتسلل إليه الضجر والملل ، ويشعر بعدم القنـــاعة بـــها ، وأول ما يخطر بباله هو الاقتران **بحـــواء** أخرى تناسب مركزه الاجتماعي الحالي .

◆◆ آدم المثالي الذي ينفق على زوجه وأولاده من غـــير إســـراف ولا تقتير عمـــلاً بقـــوله تعـــالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾[1].

فلا يبخل في عطائهم ، ولا يتذمر من طلباتهم ، ولا يشتكي دائماً من ضيـــق ذات اليد ، وقلة الخير في جيبه مع أن الخزنة مليئة من فضل الله .

(١) الفرقان :٦٧ .

◆◆ آدم المثالي هو الذي يعترف بغيرة المرأة ، ويعلم أنها فطرة جُبلت عليها ، ويحاول بفطنته وذكائه أن يعالج أمرها ، ويطفئ نارها ، وأن لا يحتقر غيرتها ، وما ذاك منها إلا دليل على محبتها له وتعلقها به .

◆◆ آدم المثالي الذي يشعر بخطئه إن أخطأ ، ولا يأنف من الاعتذار لحوائه ، بل هو الذي يجيد فن الاعتذار .

استمع إلى اعتذار آدم المثالي لزوجه حين انشغل عنها فترة من الوقت فغضبت :

قولُوا لِمَنْ بالصَّدِّ تقتُلُني   حيناً وبالهِجرانِ تَنْتَصِرُ
تَقْسو وتَجْفو دونَما سببٍ   وتقولُ لا علمٌ ولا خَبَرُ
وتُدير وجهاً لا عدِمت به   إشراقةً باهى بها القَمرُ
أنَسيتِ آمالاً نَهيمُ بها   قدْ خَطَّها في سِفْرِنا القَدَرُ
والبيتُ في جَنَباته انطَلقَتْ   أحلامُنا بالوُجْد تَستَعِرُ
والفجرُ آفاقٌ وأجنحةٌ   تَسْمو بها الآيات والسُّورُ
ولكَمْ سَجَدْنا فِي ظِلالِ هُدىً   بالطُّهرِ لا خَمْرٌ وَلا سَكَرُ
والصوتُ يا للصَّوتِ يمنَحُني   دِفْئاً فَلا نايٌ ولا وَتَرُ
ماذا عليْكِ إذا قَسا زمَنٌ   أنْ تَرْفُقي ، أوْ طالَ بي سَفَرُ
رِفقاً بَمنْ يجتاحُه ألَمٌ   فَيذوبُ من كَمَدٍ ويُعْتَصَرُ
رِفقاً بأكبادٍ لنا خَطَرَتْ   وكأنَّهُنَّ الأنْجُمُ الزُهُرُ
في عين " أشواقٍ " معاتَبَةٌ   ودموعُ " آفاقٍ " لنا عِبَرُ
ورفيفُ " أشواقٍ " يُداعِبُنا   ونداءُ " إيثار " لَهُ أثَرُ
لوْ زُفَّتِ الدُّنيا لنَا صوراً   لتَراقَصَتْ في مُهجَتي الصُّوَرُ

فِي كُلِّ ثَغْرٍ من " بَرَاعمنــا "	روضٌ من الأحْــلامِ يَزْدَهــرُ
روضٌ غرَسْنا في رُبَاهُ مُنىً	قدْ طـابَ في أفيـائهِ الثَّمَـرُ
وعلى شِفاهِ صِغارِنا عَـذُبَتْ	دُنيـا مـنَ الآمـال تُدَّخَـرُ
والرِّفْقُ يا دنيايَ مِنْ شِـيَمي	الرِّفْـقُ .. لا ضَعْفٌ ولا خَورُ
أأسُــوقُ معْـذِرةً بلا سـببٍ	كيْ لا يُهَـدِّدَ جَـنَّتي خطَـرُ
فأقـولُ منْ قـلبٍ يعـذِّبُـهُ	صدٌ .. بأنني مُـذْنبٌ بَشَـرُ!

۞ ۞ ۞

◆◆ آدم المثالي يساعد حواء على الاستعداد ليوم الميعاد ، فيحثها على حضور مجالس الذكر ، ويساعدها على ذلك ، ويذلل لها كل صعب ، لا أن يسجنها بين أربعة جدران تاركاً وساوس الشيطان تنهش عقلها وقلبها وإيمانها .



(١) للشاعر يوسف العظم ، عرائس الضياء : ٦٨ .

فهرس المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم .

٢ــ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ــ ترتيب علاء الدين بن بلبان ــ ط١ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٧ هــ .

٣ــ إرواء الغليل ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط١ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق ــ ١٣٩٩هــ .

٤ــ أصول الجغرافية البشرية ــ فؤاد محمد الصقار ــ محمود رشيد الفيل ــ وكالة المطبوعات ــ الكويت ــ ١٩٨٤ م .

٥ــ أعلام النساء ــ عمر رضا كحالة ــ مؤسسة الرسالة .

٦ــ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ــ علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ــ ط٢ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت لبنان ــ ١٤٠٢ هــ .

٧ــ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ــ لأبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ــ أشرف عليه : عبد الوهاب عبد اللطيف ــ دار الفكر ــ بيروت .

٨ــ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ــ عبد العزيز الحميدي ــ جامعة أم القرى ــ مركز البحث العلمي وإحياء التراث ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ المملكة العربية السعودية ــ مكة المكرمة .

٩ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ ابن جرير الطبري ــ ط٣ ــ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٣٨٨هــ .



١٠ ــ جغرافيــة العالم الإسلامي ــ محمود أبو العلا ــ ط٣ ــ مكتبة الفــلاح الكويت ــ ١٤٠٦ هــ .

١١ــ جواهر الإكليل شرح العلامة خليل في مذهب الإمام مالك ــ صالح عبــد السميع الآبي الأزهري ــ القاهرة ــ ١٤٠٥ هــ .

١٢ ــ حقوق النساء في الإسلام ــ محمد رشيد رضا ــ ط٢ ــ مكتبة التــراث الإسلامي ــ القاهرة ــ ١٤٠٥ هــ .

١٣ ــ دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ــ وثق أصوله ــ وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي قلعجي ــ ط١ ــ دار الكتب العلميــة ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٤٠٥ هــ .

١٤ ــ زاد المــعاد في هدي خير العبــاد ــ لابن قيم الجوزية ــ تحقيق شعيب الأرنــؤوط وآخرون ــ ط١٣ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ مكتبة المنار الإسلامية ــ الكويت ــ ١٤٠٦ هــ .

١٥ ــ سلســلة الأحــاديث الصحيحة ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط٢ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩٩ هــ .

١٦ ــ سنن ابن ماجة ــ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ــ تحقيق محمــد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء التراث العربي ــ ١٣٩٥ هــ .

١٧ ــ سنن أبي داود ــ سليمــان بن الأشعث السجستاني ــ ضبطــه : محمــد محيي الدين عبد الحميد ــ دار إحياء السنة النبوية ، دار الفكر .

١٨ ــ سنن الترمذي (الجــامع الصغير) ــ حققه عبد الوهاب عبد اللطيف ــ ط٣ ــ دار الفكر ــ ١٣٩٨ هــ .

١٩ ــ سنن الترمــذي ــ تحقيق : أحمد محمد شاكر ــ ط٣ ــ مكتبة ومطبعــة

مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٩٨ هـ .

٢٠ ـ السنن الكبرى للبيهقي ـ ط١ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ـ حيدر أباد ـ ١٣٤٧ هـ .

٢١ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٢٢ ـ سلافة الأديب ـ محمد بن عبد الرحيم الصديقي ـ ط١ ـ ١٣٨٥ هـ .

٢٣ ـ سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ ط١ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٩ هـ .

٢٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها : طه عبد الرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ م .

٢٥ ـ شرح فتح القدير ـ كمال الدين محمد بن عبد الرحمن ابن همام الحنفي ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٧ هـ .

٢٦ ـ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ـ أحمد عبد اللطيف الجدع، حسني أدهم جرار ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ .

٢٧ ـ صحيح ابن خزيمة ـ الإمام أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ـ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ـ ط٢ ـ شركة الطباعة العربية السعودية ـ الرياض ـ ١٤٠١ هـ .

٢٨ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل ـ دار ومطابع الشعب .

٢٩ ـ صحيح الجامع الصغير ـ الألباني ـ ط٢ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ـ ١٣٩٩ هـ .

٣٠ ـ صحيح سنن ابن ماجة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ ط٣ ـ إشراف

زهير الشاويش ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٤٧ هـ .

٣١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ ط١ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٤٧ هـ .

٣٢ ـ صيد الخاطر ـ ابن الجوزي ـ تحقيق : علي الطنطاوي ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ سوريا ـ دمشق ـ ١٣٩٨ هـ .

٣٣ ـ عرائس الضياء ـ يوسف العظم ـ ط٢ ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤٠٧ هـ .

٣٤ ـ قصائد إلى الأم والأسرة ـ حسني أدهم جرار ـ ط١ ـ دار الضياء للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمان ـ ١٤٠٩ هـ .

٣٥ ـ اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة ـ عبد القادر أحمد عطا ـ ط٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦ هـ .

٣٦ ـ المجتبى من المجتبي لأبي الفرج بن الجوزي ـ تحقيق الدكتور علي حسين البواب ـ ط١ ـ دار الفائز للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤٠٩ هـ .

٣٧ ـ المحلى لأبي محمد بن أحمد بن حزم ـ تحقيق لجنة إحياء التراث ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .

٣٨ ـ المرأة بين البيت والمجتمع ـ البهي الخولي ـ مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ـ ط ـ ١٩٦٥ م .

٣٩ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم وبذيله التلخيص للذهبي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٤٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .
٤١ ـ مشكاة المصابيح ـ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ـ تحقيق الألباني ـ ط٣ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ـ ١٤٠٥هـ .
٤٢ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ـ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل ـ دراسة وتقديم : كمال يوسف الحوت ـ ط١ ـ دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ .
٤٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ـ نشره : أ . ي . ونسنك ـ مكتبة بريل في مدينة ليدن ـ ١٩٣٦م .
٤٤ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
٤٥ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
٤٦ ـ الموطأ ـ مالك بن أنس ـ ضبطه وخرج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ .
٤٧ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ـ شمس الدين محمد بن أبي العباس الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير ـ المكتبة الإسلامية .
٤٨ ـ جريدة عكاظ ـ العدد ٨٤٢١ سنة ١٤١٠هـ .
٤٩ ـ جريدة عكاظ ـ العدد ٨٤٣١ سنة ١٤١٠هـ .

المحتويات

الموضوع | الصفحة

المقدمة ٥

بين يدي الكتاب ٩

اعترافات حـواء ١٢

آدم وجمال حـواء ١٦

آدم وحـواء الصغيرة ٢٣

آدم ورفض حـواء ٢٦

آدم والتعدد ٣١

آدم والعلاقات الزوجية ٥٨

آدم والزينة ٦١

آدم الاتكالي ٦٨

آدم والمادية ٧٢

آدم مع أصدقائه ٧٦

آدم وتعليم حـواء ٨١

آدم القبلي وحـواء ٨٦

آدم الطعان اللعان ٨٩

آدم وحـواء المطلقة ٩٣

الموضوع	الصفحة

آدم والبخل ٩٧
آدم وحواء الداعية ١٠١
آدم وظل الحائط ١٠٦
آدم الشرق وآدم الغرب ١٠٨
حواء تناقش آدم ١١١
آدم المثالي في نظر حواء ١٢٠
المصادر والمراجع ١٢٨
المحتويات ١٣٣

في هذا الكتاب

حاولت الكاتبة أن تقدم شرائح حية من واقع حواء مع آدم اليوم، وتستهدف من حديثها إسداء النصح لكل الرجال، وخاصة الرجل المسلم الواعي، لأنه ممن يرجى برؤه - بإذن الله تعالى - وهي تتوسم فيه الخير والاستجابة، لما ينطوي عليه قلبه من مخافة الله وخشيته، فحتى إذا ما ربضت على قلبه الغفلة فذكر بقول الله تعالى، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه سريع الفيء سهل الانقياد لأمر الله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون).

وحواء لا تقصد من كتابتها هذه أن تبرىء نفسها، وتدخل آدم قفص الاتهام، بالطبع لا، فهي تعترف بأن لها أخطاءها، وأن عليها أن تصلح من أمرها، ولا يتم ذلك إلا بالتعاون مع آدمها بحيث يصلح كلاهما أخطاءه، وأن يتحاكما في كل أمر إلى قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن ينحني المخطىء منهما طاعة أمام أمر الله من غير جدال عقيم، أو تبرير سقيم.

ردمك ٥-٨٥-٧٥٢-٩٩٦٠